الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات جزائرية

إعداد الطالبتين:

- عائشة باجلول
- سعيدة طلباوي

الأستاذ المشرف:

د. المغيلي خدير

الموسم الجامعي : 1436-1437هـ-2015- 2016 م

إهداء

هدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى من قال في حقهما المولى عز وجل" أما يبلغن عندك الكبر أحداهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفاً ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً".

إلى روح أمي رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه وإلى الذي أرشدني وسعى جاهداً في تربيتي وصلاحي إلى الذي علمني أن العلم زينة لأهله وخير مزاد الدنيا"أبي الغالي أطال الله في عمره.

وإلى أغلى هدية منحها الله لي عز وجل في هذه الحياة إخوتي كلّ واحد باسمه

إلى جميع الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبنائهم وإلى كل الأهل والأقارب وإلى كل الأصدقاء.

وإلى كل من علمني حرف من الطور الإبتدائي إلى الجامعي.

إلى صديقتي وعزيزتي التي قاسمتني هذا العمل "عائشة"

إلى كل من أعانني وقدم لي يد العون في *طلب العلم من أساتذة وطلبة*.

سعيدة

إهداء

قال تعالى " *رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ* " سورة النمل: الآية 19.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى من قال في حقهما المولى عز وجل"*إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا*" سورة الإسراء الأية 23.

والدي الكريمين حفظهما الله لي وجزاهما عني خير الجزاء.

وإلى أغلى هدية منحني إياها الله عز وجل في هذه الحياة إخوتي من كبيرهم إلى صغيرهم " محمد وزوجته وبناته وجلول وزوجته وابنته وإسماعيل وسدعلي وسمية وأولادها وصال، ودعاء، ولطيفة، داود". وإلى كل العائلة كبيرها وصغيرها.

وإلى أخواتي العزيزات اللواتي عشت معهن خمسة سنوات تحت سقف واحد "جميلة وحفوصة ومريامة وفتيحة وأم الخير وسعيدة وبثينة و ميمو ومليكة وريمة" وإلى صديقتي في البحث التي تحملتني بصبرها "سعيدة".

وإلى أعز صديقة على قلبي التي لم تتخلى عني (أسماء).

وإلى كل من أعانني وقدم إلي يد العون من أساتذة وطلبة.

إلى إخوتي الذين ساعدوني في بحثي هذا "عاشور"أحمد"عمر أشكرهم شكر خاص.

عائشة

DESIGN-WAREZ.RU

شكر وعرفان

قال تعالى: *"* رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" ***سورة الأحقاف الأية 10***

الشكر لله شأنه **على تيسيره لنا إنجاز هذا العمل كما نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا المشرف((المغيلي خدير)) على تقديم نصائحه وتوجهاته والذي أمدنا بالكثير من المادة العلمية من بداية هذا البحث إلى نهايته، كما نشكر أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، ونخص بالذكر لا الحصر الأستاذ العلمي حدباوي وباجلول محمد وكديده مبارك والأستاذة صنباوي كريمة، جعلهم الله قدوة حسنة لكلّ طالب علمٍ وجزاهم الله خير الجزاء إن شاء الله، كما نتوجه بالشكر لكلّ من ساعدنا ولو بالقليل من المعلومات.**

ДИЗАЙН И ГРАФИКА
WWW.©LIK.RU

المقدمة

الحمد لله الذي رفع العلوم على جميع الأشياء وجعلها من أعز وأعظم المطالب وأنفع المآرب أما بعد:

أنه من المعلوم في مجال الأدب والفنون عامة أن جميع شعوب العالم تساهم في ما يسمي بالأدب والفنون الحضارية العلمية، إلى جواز تمسكها بفنونها وآدابها القومية المحلية، ضمن هذه الفنون الأدبية فن المقال الذي يعد من أهم فنون الكتابة الأدبية في حياتنا العربية الحديثة منذ فجر النهضة الثقافية العربية، فنجد الكثير من الكتب التي نهضت بهذه الوظيفة وضمت مجموعات من المقالات، لعبت الدور الكبير في تطوير الأحاسيس الفكرية والنهوض بالمجتمعات الإنسانية حضارياً .

ولقد كان من أبرز هاته المقالات ما كتبه توفيق المدني الذي جعلناه نموذجاً لبحثنا الموسوم ب خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني وقد دفعنا إلى اختيار الموضوع مايلي:

1- رغبتنا في الإطلاع على المقال وخصائصه في الأدب العربي.

2- زيادة الرصيد المعرفي .

3- معرفة خصائص المقال عند الأدباء الجزائريين.

والإشكاليات التي يمكن طرحها وبحثها في موضوعنا هذا هي ما هو فن المقال ؟ وما خصائصه في الكتابة الأدبية العربية؟ كيف تناول أحمد توفيق المدني المقال؟ وما السمات التي طُبعت بها مقالاته؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي كونهما ملائمين لطبيعة الموضوع، فالتاريخي لأنه يناسب دراستنا للمقال من حيث صيرورة تطوره من القديم إلى الحديث،أما الوصفي تحليلي لأنه ساعدنا على شرح وتحليل المقالات والاستدلال على مفردات وعبارات النص ضمن سياق التعبير والتعريفات، معتمدين على خطة منهجية وفقاً لطبيعة الموضوع قوامها مقدمة ومدخل ثم فصلين تحت كل فصل مباحث وختمنها بخاتمة.

فالمدخل تناولنا فيه تعريفات لغوية واصطلاحية للمقال والأدب،أما الفصل الأول المعنون بماهية المقال وأهم خصائصه قسم إلى ثلاثة مباحث تحدثنا في المبحث الأول عن نشأة المقال وتطوره، أما الثاني عن أنواع المقال وأشكاله و المبحث الثالث ضم خصائص المقال.

أما الفصل الثاني المعنون دراسة في خصائص المقال لأحمد توفيق المدني أنموذجاً، وأهم شيوخه و إسهاماته قسم كذلك إلى مباحث، فتناولنا في المبحث الأول ترجمته " المولد والنشأة" والثاني تعلمه وشيوخه والثالث إسهاماته الفكرية، أما المبحث الرابع عرضنا فيه توظيف خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني كنموذج، ثم زينا بحثنا هذا بخاتمة فيها عرض لأهم النتائج المستخلصة منه، واعتمدنا على مجموعة مصادر ومراجع أهمها:

فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، لصابر عبد الدايم وحسين علي محمد، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، لعبد العزيز شرف.

ومن الصعوبات التي واجهتنا ونحن نحاول التقدم في مسار هذه الدراسة والبحث مايلي:

- صعوبة الوصول إلى المصادر والمراجع التي تصب في هذا الموضوع

- تشابه المادة المعرفية إذ نجدها تشترك في كثير من الأحيان في نفس الموضوع

ولله الحمد أولاً وأخراً فبفضل الله أولاً وفضل أستاذنا ومجهوداتنا تجاوزنا كل الصعوبات والعقوبات، فلله الفضل وهو المستعان راجينا منه سبحانه العلي القدير التوفيق والسداد وأن ننفع ببحثنا هذا طلاب العربية ومستعمليها وأن يجعله في ميزان حسناتنا.

"ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهُ قولي".

مدخل

قراءة في مصطلحات العنوان

1-الأدب.

أ-لغة: الأدب هو " الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك، وهي المأدبة و المأدبة، والأدب الداعي، قال طرفة:

نحن في المشتاةِ ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر".[1]

ب- اصطلاحاً: الأدب "هو فن له جميع خصائص الفنون الأخرى، وليس مجرد أي كلام يدعوا إلى فكرة أو يسجل حقيقة أو يروي خبرا، هو الثمرة العليا لتجارب الحياة الإنسانية، ودراسته هي دراسة الحياة، أولا وأخرا، والأدباء لم يتنقبوا أدبهم ليستمدوا لنا ميدانا لتحذلق والتعالي وإظهار السعة المعجمية، والإحاطة الموسوعية ، بل إنتاجهم الأدبي قطعة من مهجة حسية نابضة، وهم يريدون ممن يطلع عليها أن يشارك قلبه قلوبهم في النبض والاضطراب للحياة."[2]

2-المقال:

بالرغم من أن المقالة من الفنون الأدبية الواسعة الانتشار في العالم كله لدرجة أنه لا تخلو منها صحيفة أو مجلة، بل هناك كتب "عبارة عن مجموعات من المقالات، فإنه لا توجد دراسة نظرية أو تطبيقية كاملة تبلور خصائص هذا النصف الأدبي الشائع والسائد. ويبدو أن الجميع إنهمكوا في ممارسة كتاباتها عملياً دون الاهتمام بالتنظير لها مادامت تؤدي وظائفها المتعددة في توصيل الأفكار والمبادئ والاتجاهات والمعلومات إلى جمهور القراء في سير وسهولة ومباشرة، قد لا تتاح للفنون الأدبية الأخرى".[3]

ومع ذلك يمكننا القول بصفة عامة بأنها شكل أدبي يستخدم النثر عادة في توصيل الفكر من خلال طول معتدل يدور حول موضوع محدد. ويكون الموضوع عادة إخبارياً أو تعليمياً أو تحليلياً، أي أنه يجمع بين الرآى والخبر، فلا توجد المقالة التي تحكي خبراً فقط أو التي تقتصر على رأي الكاتب، ذلك أنّ صياغة الكاتب للخبر في حد ذاته تعد رأياً .ومن هنا كانت القضية المثارة في مصر والعالم العربي حول صحافة الخبر وصحافة الرأي، قضية مفتعلة أساساً، إذ كيف يبدي الكاتب رأياً في خبر أو حدث لا يعلم عنه شيء، فالرأي لا يصدر من فراغ، بل من احتكاك الفكر بالأحداث، والأخبار، والواقع.[4]

---

[1] - معجم فقايس اللغة، ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، مجلد1، ط1، 1411هـ-1991م، دار الجيل بيروت، مادة (أدب)، ص 74- 75

[2] - دراسات في فنون الأدب الحديث، عبد العاطي شلبي، ط1، 2005م، ص 3.

[3] - فنون الأدب العالمي، نبيل راغب، ط1، 1996م، ص 81- 82.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص 83.

وكذلك نجد المقالة هي "عبارة عن شكل من الأشكال الأدبية الإنشائية، الذي يلائم أكثر من غيره الحالات التي يحتاج فيها الأديب إلى أن يعالج مسألة من المسائل، فيوسع القول فيها ويطرقها من جميع جوانبها الجزئية بالطرق"[1].

أ–لغة: هو "قول: القول: الكلام على الترتيب، ويقول قولًا وقيلةً وقولةً ومقالًا ومقالةً وأنشد ابن برى إن للخطيئة يخاطب عمر رضي الله عنه:

تفنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالًا"[2].

أي أن كل موقف أو حال يقتضي كلاماً ملائماً له.

ويقول: "قولا وقالا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا"[3].

والمقال :"قال يقول قولا وقيلا وقولة و ومقالا ومقالة"[4].

فمن الناحية اللغوية نجد أن المقال "مشتق من مادة القول، قال، يقول، قولا، قيلا، وقولة، ومقالا، ومقالة، ومن أصدق قولا ممن دعى إلى الله: أيهم أحسن قيلا.قال قوله صادقة– لكل مقام مقال، وكذلك قول الشاعر:

(مقالة) السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمة دومة بالحق وبالباطل"[5].

وفي قاموس المحيط:" القول: الكلام أو كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل، أو القول في الخير والقال، والقيل و القالة في الشر.أو قال قولا وقولة و– و"مقالة" و"مقالا" فيهما".[6]

ب– اصطلاحا: يقول: الباحث زكي المحاسني " المقالة كتاب صغير، وهي حقا كذلك لأنها ينبغي لتتسع مالا يتسع له الشعر المنظوم– فان شئت قانونا يضبط لك (المقالة) من حيث الصورة، فاعلم أنه قدرتها على التعبير عن خوالج النفس في سيرها الذي لا يجري على نظام واضطراد"[7].

ويقول أيضا:" المقالة كتاب صغير وهي حقا كذلك لأنها ينبغي أ تحتوي على فكرة مختصرة في صفحات محدودة، كرأي يريد صاحبه عرضه على النّاس، ويشترط في المقال أن تهدف إلى غرض، وأن تنتهي إليه، مكتوبة بلغة سليمة، وفكر منير، والمقصود منها التقريب، لا الابتعاد".[1]

---

[1]- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس عشر مضامنه وأشكاله، علي بن محمد، ج2، دار العرب الإسلامي، ص499.

[2]– لسان العرب، لابن منظور، ج11، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط2، 1419هـ– 1999م، مادة (ق– و– ل)، ص350– 351.

[3]– محيط المحيط، بطرس البستاني، (د– ط)، مادة (ق– و– ل)، ص763.

[4]– لسان العرب المحيط، ابن منظور، المجلد الخامس، دار الجيل بيروت، 1408هـ– 1988م، مادة (ق– و– ل)، ص189.

[5]– أدب المقالة من المعاصرة الى الأصالة، دراسة ونماذج، عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، 1420هـ– 2000م، ص19.

[6]– المرجع نفسه، ص19.

[7]– فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسن علي محمد، دار الكتاب الحديث، 1432هـ– 2011م، ص13– 14.

ويعد فن المقال من بين الفنون الأدبية التي تعبر عن تجارب الحياة فهو "ديوان العرب في هذا العصر، وان هذا الواقع المؤثر الذي يحتله فن المقال لا يمثل صراع بين المقال والشعر، فلكل فن خصائصه وآفاقه، وسيظل الشعر هو الترجمان الصادق لأصداء النفس الإنسانية وتفاعلها مع ما تموج به الحياة من تقلبات وصراعات، وفن المقالة تتسع مضامينه وتترامي أفاقه، وتتجدد رؤاه وهو يواكب كلما يستجد من قضايا حياة الإنسان ويرصدها رصدا موضوعيا لا ينطلق من الطاقة الانفعالية، وإنما يتسم بالعقلانية والالتزام، وتقديم النتائج عبر مقدمات تستشرف أبعاد القضية في صيغة منهجية تحليلية، والصحافة اليومية والدوريات الشهرية والأسبوعية والفصلية".[2]

وكذلك نجد المقالة هي، نوع من الأنواع الأدبية الإنشائية، يعبر بها الأديب نثرا عن حالة واحدة من حالات مشاعره، أو عن طور من أطوار حالة واحد، في صفحات قليلة محدودة، تلتقي كلماتها وفقراتها عند الدافع المباشر أو ما يشيعه هذا الدافع في نفس صاحبه، لتنتقل إلى القارئ تؤثره، وما يصحبه من أفكار وتأملات وخطرات، في صور جميلة مستمدة من خيال صاحبها، وحياة مصدرها صدفه، ووراء ذلك كله موهبة تحيل إلى التجربة من تحارب الحياة اليومية والمشهد من مشاهدها فنا لغويا يستهوي القارئ بجمال أدائه وحميمة اللهجة التي يخاطبه بها الكاتب ويناجيه، دون تكلف، وكأنه أخ أو صديق كريم. وهي تقوم في الأساس على الذاتية والتجربة الشخصية، وتتكون مادتها مما يلم بالكاتب من عوامل الحزن والفرح [3].

ويقسم الباحثون المقالة إلى نوعين ذاتية وموضوعية، الذاتية هي التي يتخذ صاحبها النثر الفني وسيلة للتعبير عن إحساسه بحياة وتجربته فيها، أما الموضوعية تسمى كذلك المقالة التعليمية وهي المقالة التي يهدف كاتبها إلى تقديم مادة معرفية أو فكرية تقديما واضحا منسقا بأسلوب واضح ولغة حسية لا تقعر فيها ولا غرابة.[4]

وفي ذلك يقول "النابغة الذبياني:

وأخبرت خير الناس انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع

مقالة إن قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

فقد وردت كلمة مقالة في العصر الجاهلي في شعر النابغة، ولا شك أنها جاءت في نثرهم كذلك، ودارت على ألسنتهم واستخدموها في شؤونهم العامة والخاصة، رغبة في توضيح موقف، أو نهي عام لا يستحسن، أو أمل في إرشاد ونصح".[5]

---

[1]- المرجع السابق، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسن علي محمد، ص 14- 15.

[2]- المرجع نفسه، ص03.

[3]- ينظر: دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، داود غطاشة الشوابكة و مصطفي محمد الفار، دار الفكر، ط2، 1431هـ- 2010م، ص145.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص145.

[5]- معالم المقال الأدبي والصحفي، عبد الرحمان عبد الحميد علي، دار الكتاب الحديث، 1428هـ- 2008م، ص11.

ويشير بروكلمان إلى أن فن التأثير بالكلام الحسن الصياغة والتأليف المؤثر في أفكار النص عرف ازدهاره عند العرب الجاهليين، وقد اشتمل على بذور النمو الأدبي المتأخر.[1]

وأيضا " (المسيومارسيه) يؤمن بوجود الخطب في العصر الجاهلي، وينكر إنكاراً مطلقا أن يكون هناك نثر فني الذي يلجأ إليه الرجل لإذاعة فكره، أو دفع شبهة، أو إيضاح مشكلة."[2]

والمقال أو المقالة: " فن أدبي من فنون النثر، استحدثه الغربيون تجاوباً مع مقتضيات الطباعة والصحافة، من حيث تنوع الموضوعات وتحرر اللغة من أغلال الصنعة البيانية، وتفادي الغوص في التفاصيل، والابتعاد عن كل ما يثقل ذهن القارئ العادي، واعتماد المقاربة الرشيقة، في شتى الأغراض المتناولة، وقد تطور فن المقالة في العالم بتطور فنون الإعلام الصحفي، وكان له تأثير بالغ في تطور لغة النثر وأساليبه".[3]

وبداية تاريخ المقالة في العصر الحديث في مصر والعالم العربي فإننا نجد" أن تاريخها مرتبط ارتباطا وثيقا بغزوة (نابليون بونا بارت) للشرق، فقد أوجد غزوه طاقات خلاقة تناولت الأحوال السياسية والاجتماعية، وغيرها من الأحوال".[4]

كون المقالة من أهم الفنون النثرية التي ظهرت في العصر الحديث، وقد ارتبط ظهورها بالجرائد والمجلات، وهذا ما يذهب إليه معظم الباحثين الأكاديميين، حيث يقول جبور عبد النور معرفا المقالة " بحث في سطور أو صفحات معدودة شاعت كتاباه بعد انتشار الجرائد والمجلات وتتميز بتركيز هذا المعني ووضوح العرض والإنتهاء في معظم الأحيان إلى محصلات بارزة ترسخ في أذهان القراء"[5]

ولفن المقالة جذور في أدبنا العربي القديم، "وتتمثل هذه الجذور في كتابات الجاحظ وعبد الله بن المقفع وكذلك فيما كتبه يحي البرمكي وابن الزيات...".[6]

والمقالة تشير إلى حقيقة من حيث وظيفتها، فهي "قول أو كلام يتصف بخصائص المتكلم أو القائل. والمقالة فناً، مولدها في التاريخ الأدبي يرتبط بالصحافة الأوربية في القرن الثامن عشر، وفي الصحافة العربية بعد ذلك بقرن من الزمان".[7]

في العصور القديمة ظهر فن المقالة كفن أدبي، كان يكتب لذاته بمعنى أنه لم يكن يكتب لصحيفة أو مجلة كما حدث في العصر الحديث.[1]

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

[2]- المرجع نفسه، ص11.

[3]- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي و راميل بديع يعقوب، المجلد2، دار العلم للملايين بيروت، مادة (ق- و- ل)، ص118.

[4]- معالم المقال الأدبي والصحفي، عبد الرحمان عبد الحميد علي، ص37.

[5]- الكتابة الأدبية عند أبو القاسم سعد الله، سعيد خضراوي، 1425 - 1426هـ، 2004- 2005م، ص160.

[6]- المرجع نفسه، ص166.

[1]- المرجع السابق، الكتابة الأدبية عند أبو القاسم سعد الله، سعيد خضراوي ، ص167.

وقد عرف عن كتابات هؤلاء "بأنها رسائل ولكن بعضها كان ينهج نهج البناء الفني للمقالة": [2]

وقد كان معظم الكتاب يتبعون هذا الفن فيه ويعالجونه بنجاح فني مقبول، إذ كانوا يتوخون لدى تحبيرها معظم القواعد الفنية المعروفة، وكانت كل مقالة، في معظم الأحوال، تتبع هذا الخط المنهجي المعروف لدي المقالين الحذاق، وهو: مقدمة وعرض وخاتمة.

فهنا نقول:" قد كان الكاتب منهم يمهد لفكرته، في فقرة أو عدة فقرات، حسب طول المقالة أو قصرها ليخلص من بعد ذلك إلى معالجة القضية التي يود معالجتها، لينتهي أخيرا إلى نتيجة، أو خلاصة للمقالة". [3]

وخلاصة ذلك فقد ظهر فن المقالة في العصور القديمة كفن أدبي، وارتبط مولدها في التاريخ الأدبي ارتباطاً بالصحافة الأروبية، ثم ظهر في الصحافة العربية بعد قرن من الزمان.

وفي عصر بني أمية "تألقت هذه الكتابة وارتقت، وتعددت مراميها، وذلك لاتساع مناخ الجدل الثقافي الذي أحدثته الحياة الجديدة في هذا العصر، وعرف العرب في هذا العصر فكرة الكتابة، وفي العصر العباسي تطورت الكتابة تطورا ملحوظ، وذلك بسبب امتزاج الثقافات المتعددة، وأثمر هذا التلاقي تحولاً ملموساً في صورة النثر العربي رؤيا وأداء، ثم تطور النثر ولم يقتصر على الأسلوب بل تعدى ذلك إلى الموضوعات حيث تنوعت المضامين والاتجاهات، وانطلاقا من هذا التطور في الفن النثري فضل بعضهم قول النثر على الشعر فقال القلقشندي، في صبح الأعشى، اعلم أن الشعر وان كانت له فضيلة تخصه، فان النثر أرقي منه درجة واعلي رتبة، وأشرف نظاماً". [4]

ويمكن القول أن فن المقالة منذ أن وجدت مجالا لها في الصحف قد فقد موضوعه قالب أدبي، مستقل بذاته بين قوالب الأدب المختلفة، إذ لم يعد أحد ينشر كتب في صورة مقالات، ما لم تكن تلك المقالات قد نشرت من قبل في الصحف وكتبت من أجلها ، ثم جمعت بعد ذلك في كتب. [5]

وفن المقالة في العصر الحديث لم ينفصل عن هذه الجذور ولم يتصادم مع تلك المناطق مع تميزه وتطوره وامتزاجه بكثير من المؤثرات الثقافية والفكرية، ولا بد لمبدع فن المقال من ارتياد الأفاق التراثية والتعرف عليها والالتحام الوجداني بها، حتى تسموا لغته، وترتقي ملكته اللغوية والبيانية لسير الحضارة العربية والإسلامية مع مواكبة لإيقاع العصر، وما يصاحبه من تطورات وتجديدات في الأساليب والصور" بينما يقول سيد مرسي أبو ذكري وهو يحلل بعض تعاريف المقال، والذي نميل إليه في تعريف المقالة، هو ما ذهب إليه الأستاذ العقاد، ونرى ملامحه عند الأستاذين الشايب والدسوقي، من كونها " قطعة نثرية موجزة محتفل بها في موضوع يستوفيه الكاتب أو

---

[1] – ينظر: الأدب وفنونه، محمد مندور، دار النهضة مصر للنشر، ط8، 2012م، ص183.

[2] – دراسات في فنون الأدب الحديث، عبد العاطي شلبي، ص4.

[3] – فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائرية، 1983م، ص 369.

[4] – فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسن علي محمد، ص54.

[5] – ينظر: الأدب وفنونه، محمد مندور، ص186.

ينجمه علي مقالات تستوعب الواحدة جانبا منه، في أسلوب حسن، وبعبارة بليغة وألفاظ منتقاة وتعبر عن وجهة نظر كاتبها"[1].

يعرف (عز الدين إسماعيل) في كتابه (الأدب وفنونه) بأنها " البحث القصير في العلم، أو الأدب، أو السياسة، أو الاجتماع... تتناول جانباً من جوانب موضوع ما، يقدم للقارئ بطريقة مشوقة، تعتمد على الحكاية، والمثل، والأسطورة، إلى جانب المادة التحصيلية".[2]

والواقع أن هناك جملة من التعاريف الأخرى تصب في هذا المقام، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، الباحث يوسف نجم يقول فيه "المقالة الأدبية قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف والرهق وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"[3].

إنما يميز هذا التعريف في عمومه "الدقة الموضوعية وهذا ما ينطبق في اعتقادنا علي كثير من مقالات أحمد توفيق المدني، الذي كان كثير النشاط في المجال الفكري والثقافي، فقد كان يراسل جريدة (الفاروق) منذ عام 1914م، حيث كتب عدة موضوعات انتقاديه في جريدة الفاروق بوساطة حسين (الجزائري) الذي توطدت علاقته به، وهو المعروف بعدائه لفرنسا، كما قام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء علي أبواب المسجد الكبير بتونس، وأناشيد (الشاذلي خذندار)"[4]. ويصف المدني بدايته الصحفية بالجريدة المذكورة قائلا: وهكذا ابتدأت حياتي الصحفية المبكرة، وقد لازمتني سنين سنة، ولا انسي ما اعتراني من نشوة، وما وجدته في نفسي من اعتزاز، عندما جاءنا (الفاروق) في نوفمبر 1914م يحمل بين طياته ذلك المقال، وكنت انظر إلى اسمي مطبوع تحت مقالي كأنني ملكت الدنيا وما فيها، وأن مجمل القول فإن المقالة عبارة عن قطعة نثرية تعالج موضوعاً محدوداً برؤية معينة وبلغة تلائم الواقع مع تحليل والتعليل واستفاء جوانب الموضوع، من جميع الوجوه، وأن هذا الفن يستوفي ألوان مختلفة . كالمقال الاجتماعي الذي يؤثر في هذا الاتجاه كضغط على الأسرة وعلى المجتمع ضغط سببه غزو العادات والتقاليد الأوربية والفرنسية. [5]

هناك تعريفات عدة للمقال على حسب أنواعها والموضوعات التي تعالجها كما أنه ظهر كتاب عرب وكذلك جزائريين الذين عالجوا بعض الخصائص الفنية للمقالة منهم أبو القاسم سعد الله ومحمد عوض ...الخ

ومن بين الشخصيات الوطنية البارزة في فن المقالة، أحمد توفيق المدني، والبشير الإبراهيمي، وأبو القاسم سعد الله ...وغيرهم كثر وهنالك رجال الفكر الإصلاحي وهم الذين تأثروا بالثقافة العربية و بتراثها العريق،

---

[1]- ينظر: الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، (د- ط)، 2005م، ص28.

[2]- المرجع نفسه، ص28.

[3]- المرجع نفسه، ص55.

[4]- أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والاجتماعيةس في تونس والجزائر 1899هـ – 1993م، عبد الكريم بوصفصاف، الدلالة المعاصرة في التاريخ الحديث المعاصر، 2006- 2007م، 1428- 1427هـ، ص76.

[1]- ينظر: المرجع السابق، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والاجتماعية في تونس والجزائر 1899هـ – 1993م، عبد الكريم بوصفصاف، ص77.

وبنهضتها الحديثة في شتي الميادين الثقافية والأدبية والفكرية، فهؤلاء يمكن أن نميز فيهم نوعين، النوع الأول الذي اهتم بالفكرة وتوصيلها بأسلوب صريح مباشر والاهتمام باللغة من كل جوانبها و هو النموذج الغالب في الكتابة الإصلاحية، وبالجانب الفني الأدبي ينتمي إلى هؤلاء من يكتب مقالات سياسية التي يراعي فيها قدراً من الجمال الأدبي مثل أحمد توفيق المدني، وبعض الكتاب، أما الثاني فهو من كتاب المقالة الإصلاحية، فهو أولئك الذين اهتموا باللغة وحدها لا من حيث نقائها وصفاتها ومرونتها، كما فعل السابقون بل عنوا بها من حيث الإيحاء وجمال التعبير ومراعاة الصورة البيانية[1].

ونستخلص من هذا كله أن المقال يعتبر نوعاً من أنواع الأدب حيث قسم بعض الباحثين المقال إلى ذاتي وموضوعي، كما وردت كلمة المقال في العصر الجاهلي في بعض أشعارهم مثل النابغة وكذلك في العصر الحديث ارتبط ظهوره بالجريدة والمجلات باعتباره من أهم الفنون النثرية، وقد حظي المقال باهتمام كبير من طرف الباحثين والفلاسفة مثل (البشير الإبراهيمي) و(محمد عوض) و(أبو القاسم سعد الله) و (بروكلمان) و(مونتيني) و(أحمد توفيق المدني) هذا الأخير الذي كان كثير الاهتمام والنشاط بمجال الفكر والإصلاح الذي خلّف آثاراً من المقالات الإصلاحية، مثل مقال الاستعداد للعمل الثوري وغيرها.

[1] – ينظر: التطور النثري الجزائري الحديث، عبد الله الركيبي، دار الكتاب العربي، 1830–1974م، ص108.

الفصل الأول:

ماهية المقال وأهم خصائصه

الفصل الأول: ماهية المقال وأهم خصائصه

المبحث الأول: نشأة المقال وتطوره

المبحث الثاني: أنواع المقال وأشكاله

المبحث الثالث: خصائص المقال

المبحث الأول: نشأة المقال وتطوره

لعل الواقع يؤكد ارتباط نشأة المقال في أدبنا الحديث بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً، حيث نشأت الصحافة ومعها المقال، لوصفها الوسيلة الأساسية للصحيفة في التعبير عن أغراضها المختلفة وأراء محرريها وكتابها، ولذا كان لزاما علينا أن نتبع نشأة الصحافة وتطورها، وبخاصة الصحافة الأدبية، لنلتمس في ظل هذا التتبع بداية اهتمامها بالأدب، حيث نبتت المقالة الذاتية وتطورت، والمتتبع لنشأة الصحافة يجدها قد بدأت رسمية تتحدث بلسان الدولة وتخدم شؤونها "وأول صحيفة صدرت عام 1813 في عهد محمد علي باسم (جورنال) وتعد هذه أول صحيفة رسمية وأول صحيفة مصرية، وكانت خاصة بالباشا أو الوالي، وكان يسمح بأن يطلع عليها نفر قليل من كبار موظفي الحكومة"[1]، والمقال الصحفي يتميز في "الميدان الفكري والميدان العلمي على السواء"[2].

أما الشعب نفسه فلم يكن له بهذه الصحيفة صلة ما، واستمر الحال على ذلك حتى ظهرت جريدة (الوقائع المصرية) في الثالث من ديسمبر1828م،15 رجب عام 1244هـ.

وقد جاءت مقالات هذه الجريدة "بمثابة دعاية (لمحمد علي)، وجهوده في سبيل الإصلاح والنهوض بالبلاد، بالإضافة إلى تناول الموضوعات التي احتاجت فيها مصر في نهضتها، كالبحوث التي تتصل بالمال، أو الزراعة أو التعليم، والمقالة منذ أن بدأت الصحافة العربية بإنشاء الوقائع المصرية، قد صارت العماد والقالب المعتاد الذي تصب فيه الأفكار وتنشر بين الناس".[3]

ونستنتج في الحديث ارتباط نشأة المقال بتاريخ الصحافة، حيث صدرت أول صحيفة عام 1813 في عهد محمد علي باسم (جورنال) في سبيل الإصلاح والنهوض بالبلاد، وتناولت موضوعات عدة فمن ذلك الوقت أصبح المقال صمن الصحافة التي صارت العماد الذي ينشر الأفكار في المجتمعات.

ففي نشأتها الأولى "برزت المقالة من خلال نموذجين لها عند رائد الصحافة المصرية (رفاعة رافع الطهطاوي) ورفيقه (عبد الله بن السعود) " .[4]

وهذه المقالات "تمثل بواكير مقالات الطهطاوي بجريدة الوقائع المصرية، وجاءت في صورتها الأولى بسيطة وتوفرت علي البديع، أما النموذج الثاني للمقالة في نشأتها الأولى(لعبد الله أبي السعود) فقد كتب في العدد الأول من جريدة (وادي النيل) في سنتها الرابعة، تحت عنوان (حوادث أدبية سعيدة وممارسات عربية جديدة) معبراً عن

[1] – فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ربيعي عبد الخالق، (د– ط)، 2010م،طبع ونشر 1663 – 1870م، ص22.

[2] – فصول من الفكر العربي القديم والحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1 ، 2006م، ص247.

[3] – فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ربيعي عبد الخالق، ص30.

[4] – المرجع نفسه، ص30.

سعادته واصفاً به ظهور جريدتي (الزهرة) و (الجنان) السوريتين ومشيدًا بجهود صاحبيهما (يوسف الشلفون)، و(بطرس البستاني)"[1].

فقال: " أن من طابع سعدنا أن وصل لدينا بمصر والقاهرة في هذه الأيام الحاضرة عدة نسخ متوالية وجملة إعداد متتالية من جريدتي أو دوريتين ، وصحيفتين خبيرتين، أو مجموعتين أدبيتين".[2]

وتبرز هذه المقالة مدى حرص الكتاب على الأسجاع والجناس، إلى جانب شغفه الشديد بألوان البديعية.[3]

ولقد ظهرت بذور الأدب المقالي في الآداب القديمة قبل القرن السادس عشر، لكونها تقوم على ملاحظة الحياة، وتدبر مظاهرها، وكانت المقالة "في القديم تأتي في صورها التعبيرية البدائية، وهي الصور التي نجدها في أمثال الأمم وجوامع كلمها".[4]

ويقول الباحث (محمد عوض محمد): "وهكذا تكون المقالة قريبة الصلة بالقصيدة من الشعر الغنائي، ولكنها تمتاز بما يتجه النثر من الحرية وباتساع الأفق، وبمقدرتها على أن تتناول نواحي يتحاماها الشعر مثل الفكاهة"[5].

إن فن المقالة الفكرية والأدبية كان أسرع من الفنون الأخرى إلى التكيف مع الظروف الجديدة الناتجة عن الاستقلال،استطاعت أن تنتقل بسرعة من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث عن أمال الشعب الجزائري في الاستقلال،ونشاطاته المختلفة.

ويخلص محمد عوض محمد، إلى أن النقاد اليوم، وبخاصة كتاب الأدب الانجليزي، يرون أن النواة الأساسية للمقالة، هي فكرة أو خاطرة تخطر للكاتب، وقد استوحت هذه الخاطرة من أي مصدر من المصادر،سواء كانت من تجاربه أم من ابتكاره واختراعه، وهذه الخاطرة هي موضوع محدد، وهي في الغالب طريق بين الطرافة حيث يبني حوله مختلف الصور والأشكال، حتى يجعل منه كائناً متكاملاً، هو المقالة الأدبية بمعناها الحديث، ومن أهم ما يعني به كاتب المقالة، لكي يوثر في نفس القراء ذلك التأثير البليغ، أن يجعل كلماته وعباراته والأفكار التي تعرض لها، موجهة كلها لإبراز الفكرة الأساسية وإيضاحها[6].

وخلاصة ذلك أن نماذج الباحثان رفاعة الطهطاوي وعبد الله بن السعود يعتبران من بواكر المقالات فالخاطرة والفكرة هما النواة الأساسية للمقالة التي يؤثر بها الكاتب في نفسية القراء بأسلوبه الخاص.

---

[1]- فصول من الفكر العربي في القديم والحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، ص30.

[2] - المرجع نفسه، ص 30- 31.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

[4]- الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص 28.

[5] - المرجع نفسه، ص 31.

[6] - ينظر: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، عبد العزيز شرف، ص23.

المطلب الأول: نشأة المقال

يذهب العقاد في القديم إلى أن أدب المقالة في اللغة العربية بعد قيام الدولة الإسلامية، نشأ معها أدب الفصول ثم امتزج بالقصة ، فاقترن(بالمقامة) وهي على أوجز تعريف مقالة قصصية، يلاحظ فيها تجويد الإنشاء، لكن الفضل كما يذهب العقاد إلى ذلك أيضا هو أصل المقالة الأولى في الآداب العربية، وربما كانت الكتب العربية عند أول نشأتها فصولاً مجموعة على شيء من الصلة في موضوعها أو بغير صلة بينها على الإطلاق، فإذا فتحت الكثير منها قرأت فصلاً في الأخلاق إلى جانب فصل في أخبار شجعان، إلى جانب فصل في الدهاء و الدهاة إلى أشباه ذلك من الموضوعات التي هي أقرب الموضوعات بوضعها الحديث.[1]

وبدأت تظهر المقالة في أدبنا القديم في القرن الثاني للهجرة، وتحديداً في أدب (الرسائل) الديوانية، والإخوانية والعلمية، وقد سميت بالفصول، وفي أدب المقامات أيضاً التي تتضمن مجموعة من الحكم والمواعظ، ويبقى فن (الرسائل) أو (الفصول)هو الذي يؤسس لبداية ظهور فن المقال في أدبنا العربي القديم مثل:

1-رسالة (عبد الحميد الكاتب)إلى الكاتب.

2-رسالة (عبد الحميد الكاتب)إلى ولي العهد.

3- (صفة الإمام العالي) (الحسن البصري)، وهي شبيهة بالمقالة الاجتماعية الأخلاقية.

و"ابتداء من القرن الرابع الهجري، اتسعت مجالات المقال،لكنها من ناحية المضمون نزعت نحو التكلف والتصنع، وبقيت على هذا النمط حتى العصر الحديث".[2]

وقد كتب اليونان والرومان الرسائل التي نسلكها في باب القصة مع قليل من التجوز والتوسع، ومنها رسائل أرسطو وفلوطرخس، ورسائل (ستبكا) و(بيني) وتأملات (مارك اوريليوس) ، وما جرى مجراها في الإيجاز وتنوع الموضوع،...ولكن يرجع الفضل للعرب كما يعرف بأنه أقدم رائد للمقالة في الأدب العالمية ، كما يؤكد العقاد، لأنه ظهر قبل ظهور مقالات (مونتاني) فقد ظهر هذا الفن لأول مرة في فرنسا سنة 1571م، ثم ظهر بعد ذلك ببضع عشرة سنة من كتابات (فرنسيس باكون) الحكيم الانجليزي المشهور الذي ألف عنه العقاد كتاباً، ثم أصبحت المقالة منذ ذلك الحين فناً انجليزيًا شائعًا بين قراء الانجليزية مع سبق الفرنسيين إليه.[3]

ومنه نستنتج أن هذا الفن ظهر عند الفرنسيين على حساب الإنجليز حيث كانت المقالة عند العرب باللغة العربية بعد قيام الدولة الإسلامية علي شكل قصة ثم تطورت عند الغرب علي شكل مقالة.

المطلب الثاني : تطوره

في الحديث انتقل المقال من النشأة إلى التطور عند الكثيرين من الفلاسفة والباحثين، مثل (مونتيني) هو أول كاتب ألف ما نسميه مقالات، بالاصطلاح الفني وكانت القطع التي ألفها، إما تتناول موضوعا ت من

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 18- 19 .

[2]- الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص 28- 29.

[3]- ينظر: المرجع السابق، الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص29.

حيا ته أو تأملاته ولها نزعة أدبية أو خلفية في كثير من الأحيان. ولكن أصول هذا الفن ترجع إلى عصر قديم في تاريخه الأدبي، وقد كان بلا شك مديناً (لشيشرون)، الذي كان يعالج موضوعات مجردة، بأسلوب سهل وخيال هادئ، وشيشرون نفسه كان مديناً لأفلاطون الذي اشتملت محاوراته على الجرثومة، التي تولدت منها المقالة والرواية، فقد استطاع أن يجعل من الحياة مسرحاً،ويملأه بشخصيات ممتلئة ذكاء وحيوية، وكان يعرض الموضوعات عرضاً أقرب إلى شؤون الحياة عامة منها إلى الفلسفة، ومن الممكن أن تعتمد محاورات أفلاطون، بمثابة مقالات، لولا لونها المسرحي،وما يتتبع ذلك من الحوار والأخذ والرد، بينما المقالة نطق المحدث لنفسه[1].

وفي المقارنة بين المقالة والشعر الغنائي "إن المقال يعبر عن إحساس شخصي،أو أثر في النفس،أحدثه شيء غريب أو مثير الاهتمام، أو شائق أو يبعث الفكاهة والتسلية ".[2]

ومن هنا يتضح لنا أن المقال تطور على يدي مونتيني الذي كان مديناً لشيشرون وهو بدوره كان مديناً لأفلاطون، الذي كان يعرض الموضوعات التي هي أقرب إلى شؤون الحياة العامة للناس.

يقول: "(محمد عوض محمد) وهكذا تكون المقالة قريبة الصلة بالقصيدة من الشعر الغنائي، ولكنها تمتاز بما يتيحه النثر من الحرية، وباتساع الأفق، وبمقدرتها علي أن تتناول نواحي يتحاماها الشعر مثل الفكاهة، فالفكاهة لا تليق بالفن الشعري". [3]

يوضح هنا محمد عوض الفرق بين المقالة والشعر الغنائي لما يمتاز به النثر بالحرية، ويلزم كتاب الشعر الابتعاد عن الهجاء والسخرية.

ودليل ذلك لأن "الشعر يتطلب نزعات قدسية جديدة، ومع أن الكاتب هنا يتناسى فن الهجاء والسخرية في الشعر، فإنه على حق في اعتبار أن المجال لمعالجة الموضوعات معالجة فكاهية أوسع بكثير في المقالة الأدبية منه في القصيدة الغنائية"[4].

ويختم بنسن مقالته بقوله: " كاتب المقالة إذا هو شخص يعبر عن الحياة، وينقدها بأسلوبه الخاص، انه لا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرخ أو الفيلسوف أو الشاعر أو القصاص... ولكن في فنه شيء من هذا كله، وليس يعنيه أن يكشف نظريات جديدة، أو يوجد الصلة بين أجزائها المختلفة، إن طريقته في العمل أدني ما يسمى الأسلوب التحليلي، يراقب ويسجل ويفسر للأشياء كما تبدوا له، ثم يدع خياله يمرح في جمالها ومغزاها، والغاية

[1] – ينظر: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، عبد العزيز شرف، ص22

[2] – المرجع نفسه، ص22–23.

[3] – المرجع السابق، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، عبد العزيز شرف، ص 23.

[4] – المرجع نفسه، ص24.

في هذا كله انه يحس إحساسا عميقا بصفات الأشياء وبسحرها، ويريد أن يلقي عليها نورا واضحا، لعله يستطيع بذلك أن يزيد الناس حبا في الحياة، وان يعدهم لما اشتملت عليه من المفاجأة المفرحة والمحزنة ".[1]

نستنتج أن كلاً من الباحثين (بنسن ومحمد عوض) يحاولان أن يوضح لنا أن المقال في العصر الحديث أصبح الكاتب هنا يجسد نفسه في مقالاته.

والمقالة في الأدب العربي الحديث ،قد تطورت لعدة أسباب "منها:

1- الاحتكاك بالغرب، والتأثر بصحافتها.

2- ارتقاء الوعي، وظهور الأحزاب السياسية، والتيارات الفكرية التي أوجدتها أحداث بارزة مثل:

- ظهور (جمال الدين الأفغاني) كمصلح اجتماعي - حركة التأسيس المدارس والكليات- حركة التأسيس المدارس والكليات.

3- ظهور المدارس الصحفية الحديثة، وبروز صحف عدة منها: (المؤيد)، (اللواء)،(الجريدة)،(البلاغ)...

4- ظهور المجلات المتخصصة و"التي أحاطت بمكونات المقالة الغربية".[2]

ومفهوم أدب المقالة في التيارين العربي القديم والغربي الحديث، يختلف كل واحد عن الأخر في أدب المقالة العربية الحديثة بمقدار حظ كل كاتب، من الثقافتين العربية والأوربية، فبعض أثارهم يغيب عنها العنصر العربي وبعضها يغيب فيه العنصر الأوربي، والطابع العام بجمع بين الأصالة والمعاصرة على النحو الذي يتضح من ارتباط البلاغة الجديدة بالمدرسة التجديدية في أدب المقالة، إذ طور كتابها الذوق العام في النصف الأول لهذا القرن، وقد أعانهم علي الوصول إلى مشارق هذه البلاغة الجديدة، وهو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبي حيث كان في القرن العشرون بصفة عامة وفترة ما بعد تأسيس جمعية العلماء بصفة خاصة وهي فترة إزدهار فن المقالة الأدبية في الجزائر وكان ظهوره نتيجة انتشار الصحافة العربية في الجزائر والصراع الفكري[3].

كما نجد كذلك أن فن المقال الأدبي اختلف اختلافاً جوهرياً من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعا، فالمقال الأدبي يعبر قبل كل شيء عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل أن المقال الأدبي يدخل في اعتباره عواطف الفرد ووجدانه، أما المقال الصحفي فيهتم بما يسمي (الوجدان الجماعي).[4]

وخلاصة ذلك أن الفرق بين المقال الأدبي والمقال الصحفي، فالأول هو عبارة عن عواطف الفرد الذي يكنه، أما الثاني فهو قريب من وجدان عامة الناس.

وللمقالة عدة مراحل أهمها:

---

[1]- المرجع نفسه، ص 24.

[2]- المرجع السابق، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، عبد العزيز شرف، ص23.

[3]- ينظر: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد المالك بومنجل، بيت الحكمة، ط1، 2009م، ص34.

[4]- ينظر: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، عبد العزيز شرف، ص24.

1- مرحلة البداية:

ويمكن أن نسميها "الصحيفة الأولى التي ظهرت فيها الصحافة من بداية القرن التاسع عشر، وهي تلك المرحلة التي نشأت فيها الصحافة، ويمثلها كتاب الصحف الرسمية الدين شاركواْ في تحريرها، ومن أشهر كتاب هذه المرحلة :صالح مجدي، ورفاعة رافع الطهطهاوي، وعبد الله أبو السعود، وسليم عنجوري...وغيرهم، وقد نشروا مقالاتهم في (الوقائع المصرية)، و (وادي النيل)، و (الوطن وروضة الأخبار)، و (مرآة الشرق) وقد ظهرت المقالة علي أيديهم بصورة فجة، وكان أسلوبهم أقرب إلى أساليب عصر الانحطاط، فهو يزهو بالسجع الغث، والمحسنات البديعية والزخارف المتكلفة الممزوجة،وقد كانت الشؤون السياسية هي الموضوع الأول لهذه المقالات، ولكن الكتاب كانواْ أحياناً يعرضون لبعض الشؤون الاجتماعية والتعليمية."[1]

ونجد كذلك أنها تمثل بجزء من مقالة لعبد الله فكري، يتحدث فيها عن الصحف وضرورتها للناس، "فهي جهينة الأخبار وخزينة ذخائر الأفكار، وسيقل الأذهان، ومرآة حوادث الزمان، وهي الجليس الذي تعجب نوادره، والأنيس الذي يضرب حديثه من يسامره والخليل الذي لا يستتر منك ولا يخبئ عنك خبيرا ولا خبرا، وهي السائح الذي يطوف بك البلاد، ويأتيك بأخبار العباد، ويعرفك أحوال زمانك، وأنت لا تبرح مكانك ثم مؤونته هينة، ومعونته بينة تنفع منه وتستفيد، ولا يصرف عليه في العام إلا شيء زهيد، فالنجباء من الناس لا يفترون عن هذه اللطائف ولا يفترون عن مطالعات تلك الصحائف. وقد استمرت هذه المرحلة حتى نهاية القرن التاسع عشر."[2]

نستنتج أن هذه المرحلة هي البداية الأولى للمقالة الصحفية حيث ظهر فيها بعض الكتاب وكانت معظم مواضعها في الشؤون السياسية التي كانت قريبة من عصر الانحطاط ، وتميزت ببعض الخصائص ."وهي

1-كانت صحفها مسيرة من طرف الدولة لأنها أنشئت بإيعازها.

2- غلبت الطابع البدائي على كتابها.

3- غلبت المواضيع السياسية، تليها المواضع العلمية، والاجتماعية".[3]

2- مرحلة التطور:

وهي تلك التي نشأت في مطلع القرن العشرين، ومن بواكير كتاب هذه المرحلة وأعلامها : محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وأحمد لطفي السيد، ونقولا الحداد، وطه حسين، ومحمد السباعي، وعباس محمود العقاد،... وغيرهم.

والمتأمل في نتاج هؤلاء يجدهم قد خطو بالأسلوب الأدبي في هذه المرحلة خطوة جبارة، فخلصوه من قيود السجع والصنعة، وأطلقوه حراً بسيطاً، يحمل من الأفكار والمعاني الكثير، ويناقش قضايا المجتمع في مختلف شؤون حياته، ومن أمثلة ذلك مقالة مصطفي لطفي المنفلوطي،(يوم العيد) التي يقول فيها: "لا تأتي ليلة العيد حتى

[1] - فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص 17- 18.

[2] - المرجع نفسه، ص18.

[3] - الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص3.

يطلع في سمائها نجمان مختلفان، نجم سعود ونجم نحوس، أما الأول فللسعداء الذين أعدوا لأنفسهم صنوف الأردية والحلل، ولأولادهم اللعب والتماثيل، ثم ناموا ليلتهم نوماً هادئاً مطمئناً تتطاير فيه الأحلام الجميلة، وأما الثاني فللأشقياء الذين يبثون ليلهم على مثل جمر الغضا، يثنون في فراشهم أنيناً يتصدع له القلب، ويذوب له الصخر، حزناً على أولادهم الواقفين بين أيديهم فهل لأولئك السعداء أن يمدوا إلى هؤلاء الأشقياء يد البر والمعروف؟ ويفيضوا عليهم في ذلك اليوم النذر القليل مما أعطاهم ليسجلوا لأنفسهم في باب المروءة والإحسان، ما سجل لصاحب حانوت التماثيل".[1]

نخلص من مقالة (يوم العيد) لمصطفى لطفي المنفلوطي التي تحكي لنا عن نجمان اللذان يظهران في يوم العيد أي الأشقياء والسعداء وهمه الوحيد هل يمكن للسعداء أن يمد يد العون للأشقياء لكي يسعد الجميع بالعيد.

وهذه المرحلة تميزت بخصائص هي:

1- التخلص التام من المحسنات البديعية.

2- ظهور أثر الأسلوب القرآني، و كذلك أسلوب المقامات العربية.

3- الدفاع عن حقوق الشعوب، وإصلاح المفاسد الاجتماعية.[2]

3- مرحلة المقالة الحديثة:

ونقصد بها تلك المقالات التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى 1919م، وتستمر هذه المرحلة خمسين عاما تقريباً حتى عام 1967م، وهذه المرحلة شهدت ظهور المجلات الأدبية، (الرسالة) ،و(الثقافة)، و(الكتاب)و(الكاتب المصري) في مصر، و(الأديب) ،و(الآداب) ،في لبنان، و(المنهل)، في السعودية، و(الحكمة)، في اليمن ، و(الفكر)، في تونس... وغيرهم كثير.

وهذه الفترة هي التي شهدت كتابات مثل أحمد حسين الزيات، وأحمد أمين، وزكي مبارك، ومحمود تيمور، ومحمود محمد شاكر، وزكي نجيب محمود، ومصطفى صادق الرافعي، وعبد القدوس الأنصاري، وحسين سرحان...وغيرهم، وامتازت المقالات في هذه المرحلة بظهور الذاتية العاطفية، وميلها إلى المقال القصصي مع الميل إلى الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم[3].

ومن بين المقالات التي كتبها أصحابها في دوريات قبل جمعها في كتاب (وحي الرسالة) وهو كتاب في عدة مجلدات يضم الافتتاحية التي كان يكتبها أحمد حسن الزيات في مجلة (الرسالة) في صدورها الأول 1933-

[1]- فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص19.

[2]- ينظر: الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص30.

[3]- ينظر: المرجع نفسه،ص31.

1952م و(أباطيل وأسمار) لمحمود محمد شاكر، الذي يضم مقالات له نشرها في مجلة (الرسالة)، الإصدار الثاني :1963- 1965م، ويكشف فيها الزيف الثقافي الذي استشرى في هذه الفترة.[1]

و نجد "من نماذج هذه المقالة ما كتبه أحمد أمين تحت عنوان (مع الطير) ويقول فيها: (من نعم الله عليا أن عنيت حديقتي الصغيرة هذه الأيام بالطيور، فهذه شجرة-لا أدري البر فيها- جذبت العصافير الكثيرة إليها، فهي في حركة دائمة حولها وفيها)، هي أحب الحيوان إلى وأقربه إلى قلبي، وهي تقوم في عالم الحيوان مقام الأديب والفنان في عالم الإنسان، جمال في شكلها، جمال في هندامها، جمال في غنائها، مرح في حياتها ظرافة في بناء عشها، حنان في حبها لأولادها، أبرز شيء فيها عواطفها، فهي تغني استجابة لعاطفة، وتمرح لعاطفة، وتتحبب لجنسها وأولادها لعاطفة، وبحق علمت الإنسان، فما يجد الطائر فرصة للفرار حتى يهرب ولو كان قفصه من ذهب، وحبه أغلي حب وثرا به ماء الورد، ظناً بتجربته أن تباع بأي ثمن، وأن تسترق بأي جزاء، وحافظ علي حريته من مبدئه إلى منتهاه، لا كالإنسان الأبله يرضى بالقيود ثم يبذل في فكها الجهود".[2]

وتأثرت المقالة بتأثير الاستعمار البريطاني علي الشعب المصري، إذ عمل على تعطيل الصحف الموالية للثورة العرابية (النديم، الزمان، السفير) ونفي الزعماء مثل: (محمد عبده)... فهذه السلوكات الجائرة ساعدت على تطور فن المقالة[3].

نستنتج من مقالة أحمد أمين التي عنونها مع الطير يوضح لنا أن العصافير تعيش حياة حرة لا تقبل القيود عكس الإنسان الذي يبذل الكثير من الجهد من أجل حل مشاكله

ومن بين الخصائص التي تميز هذه المرحلة "هي:

1-طغيان الاتجاه السياسي.

2- الدعوة إلى التحرر.

3- سيطرة الروح الحماسية.

4- تعددية المواضيع.

5- يرجع إليها الفضل في إنشاء وتكوين الأدباء الذين جاؤوا بها طه حسين، العقاد، شكري، المازني...".[4]

4- مرحلة المقالة الصحفية:

وفي 1967م تخلت المقالة الأدبية عن الواجهة وأفسحت المجال للمقالة السياسية التي يكتبها ، علي أمين، ومصطفى أمين، و إحسان عبد القدوس، وجهاد الخازن، وغسان لامة أحمد سلامة ، وفهمي هودي الرحمن

[1]- ينظر: فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص22.

[2]- المرجع نفسه، ص23.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص23.

[4]- الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص31.

الراشد...وغيرهم، والمقالة الاجتماعية التي يكتبها أحمد بهجت، وعبد الله الجمحي، وعبد الرحمن الدوسري، وصلاح منتصر....وغيرهم، والمقالة الفلسفية التي يكتبها : إبراهيم، وفؤاد زكريا ، وحسن حنفي، وإمام عبد الفتاح إمام، ومحمد عبد الغاني القوصي... وغيرهم، ولقد أصبح الأسلوب الصحفي، الذي يعنى بقصر العبارة والاهتمام من المحسنات البلاغية واللفظية، هو ما يميز كتابات هذه الفترة الأخيرة.[1]

أهم صحفها:(السفور)،(الوجديات)، (السياسة)، (البلاغ)،(الأخبار)،(الدستور)، (الأساس).

وخصائصها الفنية "هي :

1-غلبت الطابع السياسي.

2- التركيز، والدقة العلمية.

3- الميل إلى الثقافة العامة لتربية الأذواق

4- غلبة الأسلوب الأدبي، والنقدي" .[2]

نستنتج في هذه المرحلة أن المقالة أصبحت عبارة عن مقالة صحفية تهتم بالمجال السياسي والإجتماعي وغيرها، وأصبح أسلوبها صحفي.

[1] - ينظر: فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص20.

[2] - الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص32.

المبحث الثاني: أنواع المقال وأشكاله.

المطلب الأول : أنواع المقال.

1. المقالة الأدبية

ونجد أن "المقالة الأدبية تكاد تكون شعرًا منثورًا، فالذاتية طابعها، وشدة الانفعال من أول خصائصها، وتتغلب فيها حرارة الوجدان علي رزانة المفكر، وتتمثل بالأسلوب الرصين، والأخيلة الجذابة، والعبارات المبنية بناءًا متناصقاً محكماً".[1]

ومنها مقالات (مصطفى لطفي المنفلوطي) في (النظرات)و(العبارات) ومقالات جبران خليل جبران في كتابه (البدائع والطرائف) ومقالات (مصطفي صادق الرافعي) في كتبه المتعددة، مثل (وحي القلم) و(السحاب الأحمر) وغيرها، ومن هذا النوع أيضا مقالات احمد حسن ، واحمد أمين، يقول الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه (نشأة النثر) يقتضي الأسلوب في هذا اللون من النثر الأدبي، التأنق في اللفظ، وجودة السبك، وتوليد المعاني، والمعرفة بأسرار اللغة ووفرة المحصول من المفردات، والبصر بالكلام الجيد من المنظوم والمنثور، كل ذلك إلى جانب طبيعة مواتية وحس مرهف وذوق رقيق يهدي إلى مواطن الجمال.[2]

ويرى بعض الأدباء أن المقالة الأدبية تنقسم إلى قسمين:

1- **المقالة الموضوعية**: ويرون أن المقالة التي قصد إليها الكاتب قصداً وحيث حدد نقاط حديثة في موضوع المقالة تحديداً واضحاً، وبحيث تغلب مادة المقالة سواء كانت علماً طبيعياً أو كيميائياً أو فلسفة...الخ على أحاسيس الكاتب وعواطفه... يعني هي مقالة صوت العقل فيها أعلى من صوت العاطفة، والأسلوب فيها محددٌ مركزٌ خالي من الإجادة الأدبية أو الصنعة الفنية، فلا صور فيها ولا خيال[3].

ورأى أصحاب هذا الرأي في هذا النوع من المقالة،"أن الكاتب يتخذ صفة الوقار والجد، فحديثه في مادة موضوعية مباشر، وهو يتجه من حديثه إلى العقل مباشرة، ولا يحاول ليحرك عواطف قرائه أو يمس وجدانه".[4]

2- **المقالة الذاتية**: ورأى مؤرخواً المقالة من هذا النوع أن الكاتب أو الأديب هو محورها، بحيث لا نستطيع أن نعطي فكرة محددة لموضوع المقال، بل هي موضوعات وأفكار وخواطر يتحدث بها الكاتب تلقائيا وبلا قصد،ولا نظام مقصود في الترتيب.

---

[1] - فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص22.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص25.

[3] - ينظر: فنون الأدب دراسة تطبيقية للشعر في عصوره المختلفة والمقال والقصة القصيرة، عبد العاطى شلبي، ط1 ،2005م ، ص53.

[4] - المرجع نفسه، ص53- 54.

وأصحاب هذا الرأي يتخيلون الكاتب رجلاً صديقاً لقرائه،يمتع قلوبهم بخفة روحه، فما يبثه هنا وهناك في كتاباته من مداعبات وطرائف،فهو يخرج من موضوع إلى موضوع في المقالة الواحدة، وشخصه معنا يحدثنا عن فكرة له يراها أو إحساس يحسه أو تجربة مر بها، بل قد يكشفنا بأسراره.

ويغيب عن بال أصحاب التقسيمات في المقالة إلى ذاتية وموضوعية، أن المقالة التي يعدونها ذاتية في هذه الصفة موضوعية مادتها عواطف الكاتب أو نفسيته وصراعاتها.

فالمقالة الأدبية مادتها المعرفة تحت أي اسم تكون، وكونها من نسيج فني يستمد عناصره من القصة أو الشعر أو المسرحية، ففيها نرى الشخصية مرسومة من الداخل أو الخارج، وفيها يعالج الكاتب أفكاره محاوراً أو واصفاً أو محللاً لنفسيات، مما يجعل من المقالة الأدبية توازناً في دقة بين الموضوعية العلمية وبين الذاتية الفنية.[1]

ومن أعلامها: أحمد حسن الزيات، مصطفي صادق الرافعي، وأحمد أمين، و طه حسين، والمازني، وسيد قطب، ووديع فلسطين، وعبد الحميد إبراهيم...وغيرهم كثير.

يتضح من هذا أن المقالة الموضوعية يغلب فيها العقل على العاطفة، وموضوعها محدد، أما المقالة الذاتية يغلب فيها العاطفة على حساب العقل، وموضوعاتها تقوم على حساب الكاتب.

ومن نماذجها مقالات (أحقاً مات علي محمود طه) لأحمد حسن الزيات، التي يقول في مطلعها:" أحقا رفاق علي لن تروه بعد اليوم يحي المجالس بروحه الطيف، ويؤنس الجلاس بوجهه المتهلل،ويدير علي السمار أكؤوسا من سلاف الأحاديث تبعث المسرة في النفوس وتحدث النشوة في المشاعر؟ أحقا عشاق علي لن تسمعوه بعد اليوم ينشد القصائد الرقيقة ويخرج الدواوين الأنيقة، ويصور الحياة بألوان من الشعر والسحر والفنون، في إطار من الجمال والحب و اللذة ؟".[2] ويواصل أحمد حسن الزيات كلامه فيقول:" أحقاً أصدقاء علي لن تجدوه بعد اليوم يبذل من سعيه ليواسي، وينيل من جاهه ليعين ، ويجعل بيته سكنا لكل نفس لا تجد الدعة ولا الأنس، ومثابة لكل طائرة لا يجد الروضة ولا العش؟ ".أحقا عباد الله سكت البلبل، وتحطم الجام، وتقوض المجلس، وانفض السامر،وتفرق الشمل، و أقفر الربيع، وأصبح علي طه الشاعر العامل الأمل أثراً وخبرًا وذكرى؟".[3]

ومن هذا النوع من المقالة ما كتبه أحمد أمين في كتابه (إلى ولدي) ومنه قوله "أهم ما جربت في حياتي إني رأيت قول الحق والتزامه، وتحري العدل وعمله، يكسب الإنسان من المزايا ما لا يقدر، لقد احتملت في سبيل ذلك بعض الآلام، و أغضبت بعض الأنام، وضاعت علي من أجله بعض المصالح، ولكني برغم ذلك كله قد

[1] – ينظر: المرجع السابق، فنون الأدب دراسة تطبيقية للشعر في عصوره المختلفة والمقال والقصة القصيرة، عبد العاطى شلبي، ص55 – 56.

[2] – فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص26.

[3] – المرجع السابق، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص26.

استفدت منه أكثر مما خسرت، لقد استفدت منه راحة الضمير، واستفدت منه ثقة الناس بما أقول وما أعمل، واستفدت منه حسن ظنهم بما يصدر عني ولو لم يفهموا سببه"[1].

نستنتج أن أحمد حسن الزيات في مقالته يوضح لنا مدى اشتياقه لعلي بعد فقدانه وآثاره وأعماله العلمية التي كان يشرف عليها، وكذلك أحمد أمين إلى ولده الذي كان ينصحه ويصرُّ على قوله الحق والتزام الأخلاق الحميدة وتأدية واجبه من أجل راحة ضميره على ابنه.

2- المقالة الدينية:

المقالة الدينية هي "تلك المقالة التي يهتم صاحبها بإبراز عاطفته الدينية نحو أمر يمس العقيدة أو يتصل بالمجتمع، فيكتب مقالة تبين عن رأيه فيما هو بصدده، متسماً أسلوبه بالتدفق الشاعري نحو القيم الدينية، والدب عنها،والإخلاص لما تدفع إليه، فهو لا ينطق في توجهه من عبث أو غفلة أو استدرار، قدر ما يستند إلى ذلك المنبع العظيم النير المشرق، المستمد منه توجهه، ويمنح من تميز أفكاره".[2]

وهنا تعنى بدراسة قضايا العقيدة وشعائر الدين ودورهما في حياة الفرد المجتمع، وبديهي أن موضوعاتها مما يمس حياة الإنسان وصلته بنفسه ومجتمعه وخالقه، ومن ثم فهي ذات جذور بعيدة في تراثنا العربي، غير أن تطور الحياة وما ظهر فيها من حياة الناس تتطلب تحديد الموقف الديني منها، وظهور العديد من المجلات الدينية مثل: الأزهر والأخوان المسلمون ساعد على ذيوع المقالة الدينية.[3]

وتسيطر عليها الروح الدينية، حيث تخاطب الوجدان المسلم، وتتلمس أسباب ضعف الكيان الإسلامي، وعلى كاتب المقالة الدينية أن يحسن اختيار النصوص الدالة من القرآن والحديث، بحيث يأتي الاستشهاد في موضعه الصحيح وبأسلوب مؤثر يرضي العقل بمنطقه، ووسائل الإقناع هنا تكون نقليه غالباً، حيث يدلل الكاتب على آرائه بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وبالمأثور من خطب الخلفاء، كذلك أمثلة من التاريخ الإسلامي، والاتكاء على سلوك الشخصيات الرائدة التي تمثل نماذج عامة في الوجود الإسلامي.

ومن رواد كتاب المقالة الدينية في العصر الحديثة (محمد عبده)، (عباس محمود العقاد)،و(محمد الغزالي)، و(مصطفي محمود)، و(أحمد زين)، و(محمد عمارة)...وغيرهم ومن نماذجها مقالة الديمقراطية الإنسانية (العباس محمود العقاد)وهذا نصها، نستطيع بعد الفصول المتقدمة أن نقرر أن شريعة الإسلام كانت اسبق الشرائع إلى تقرير الديمقراطية الإنسانية،وهي الديمقراطية التي يكسبها الإنسان...وتقوم الديمقراطية الإسلامية بهذه الصفة علي أربعة أسس لا تقوم على غيرها[4].

وهذه الأسس "هي:

---

[1]- المرجع نفسه، ص26.

[2]- المرجع نفسه، ص27.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص28.

[4]- ينظر: المرجع السابق، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، ص29.

1. المسؤولية الفردية.
2. وجوب الشورى علي ولاة الأمور.
3. عموم الحقوق وتساويها بين الناس.
4. التضامن بين الرعية علي اختلاف الطوائف والطبقات.

هذه الأسس كلها أظهر ما تكون في القران الحكيم، وفي الأحاديث النبوية، والتقاليد من عظماء الخلفاء."[1]

فالمسؤولية الفردية مقررة في الإسلام على نحو صريح، وبآيات متكررة تحيط بأنواع المسؤولية من جميع الوجوه، فلا يحاسب الإنسان بذنب إنسان[2].

قوله تعالى: (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[3].

أما عموم الحقوق فالقرآن صريح في وجوده قال تعالى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[4].

أما الآية في سورة الشورى فالحكم في القرآن الكريم صريح بوجوبها، لقوله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُم)[5].

أما بالنسبة للمسؤولية الفردية تكافل الأمة في المسؤولية العامة قال تعالى:(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)[6].

فالكاتب أخذ مصطلح الديمقراطية وبينه في الإسلام من خلال تطبيقه العملي الذي يهتم بالأمور الأربعة المذكورة.

3- المقالة الصحفية:

كان للمقالة الصحفية أكبر الأثر في معالجة النقد الأدبي ،كما كان لها الأثر العميق في معالجة الأوضاع الاجتماعية والثقافية و الفنية، وقد تطورت المقالة بتطور المجتمع و الصحافة، وبلغت أوجهاً،كفن أدبي، بعد

---

[1]- المرجع نفسه، ص29.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص30.
[3]- سورة الأنعام، الآية 164.
[4]- سورة الحجرات، الآية 13.
[5]- سورة الشورى، الآية 38.
[6]- سورة الأنفال، الآية 25.

الحرب العالمية الثانية، وقد امتازت بالتركيز والدقة العلمية والميل إلى بث الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم، ولم يكن أثر المجالات دون أثر الصحف تطويراً لفن المقالة وبلورته، وقد لخص (محمد يونس نجم) ذلك الأثر وأرجعه إلى تطويع اللغة وتهذيب أسلوب الكتابة بحيث أصبح أداة مؤتية لنقل الأفكار الحديثة، ثم إلى اتساع صفحاتها لنشر مختلف أنواع المقالة من ذاتية و موضوعية، وأخيراً إلى خلق طبقة من الكتاب الذين عنو بفن المقالة وجعلوها الوسيلة الأولى لنقل أفكارهم وإذاعة آرائهم ،ومرجع القضايا التي عالجتها المقالة في عصرنا الحديث إلى محاربة الاستبداد و الاستعمار، وتحرير المرأة، وإنصاف العامل، ونشر العلم، وبث روح الإخاء و المساواة ،وتوفير الضمانات الاجتماعية وتنشيط الزراعة والصناعة،وتوحيد الكلمة،وتحطيم نير التقاليد وما إلى ذلك.[1]

إن التحاق فن المقالة بالصحافة قد كان له أثر كبير في تحديد خصائص اللغة الأدبية،التي تكتب بها، إذ أن فن المقالة المعد للصحيفة اليومية أو المجلة الأسبوعية قد كان له الفضل في خلق لغتنا العربية الحديثة التي تمتاز بالترسل والوضوح والسرعة والتركيز،أي اللغة المزركشة بالمحسنات البديعية، فلا الكاتب لديه من الوقت والمهلة ما يمكنه من هذا الترصيع، ولا القارئ يستطيع ذلك.[2]

و المقال الصحفي "يتمثل في الميدان الفكري والميدان العلمي على السواء" .[3]

لقد حظي المقال الصحفي بتطور ملحوظ ساهم في أثره العميق على معالجة جميع الأوضاع الاجتماعية والثقافية بتطوير المجتمع حيث كان له الفضل في خلق لغتنا العربية التي تمتاز بالوضوح والسرعة والتركيز ونشر العلم.

4- المقالة السياسية:

هو المقال "الذي يكتبه الكتاب بتصور موضوعي وفكر موضوعي، أي بعيد عن الذاتية والشخصية والوجدانية، بل يتناول أفكار سياسية أو وطنية، أو دولية ويبصر الجمهور بما يحيط بلاده ويستثيره للذود عن مقدساته بأسلوب سهل بعيد عن الزخرفة ،ويعتمد فيه على أثارة العواطف"[4] .

ولا يكتفي الكاتب في المقال السياسي بعرض المشكلة أو الفكرة بل ينجح في كثير من الأحيان إلى التحليل و التعليل، فلا يقف الكاتب عند عرض الأحداث أو تغيرات الحادثة فحسب، وإنما يربط بأحداث الماضي وتغيرات الحاضر ومحاولة استنتاج آفاق المستقبل.

من مقالات (أحمد توفيق المدني) مقالة السياسي في مؤتمر الصومام قد أنهى حالة الارتباك في القيادة وحالة الاضطراب السياسي بخضوع الجميع إلى سلطة مركزية واحدة، وتحددت مناطق النفوذ ومناطق القيادات، وانتمت

---

[1]- ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب والحديث، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت- لبنان، ص 39- 40.

[2]- ينظر: الأدب وفنونه، محمد مندور، ص188.

[3]- فصول من الفكر العربي في القديم والحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، ص247.

[4]- أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899- 1983، عبد القادر خليفي، ص196.

فوضى لجنة الستة، فأصبح هو ورفاقه بالقاهرة يعرفون صفتهم وتحددت وظيفتهم وواجباتهم، والجهة التي يتبعونها.[1]

والمقالة السياسة "عبارة عن مرآة تنقل ألآم الشعب وأماله ومن خلالها يحاول الدفاع عن الشخصية الوطنية منتقدا السياسة الاستعمارية، يجمع فيها مابين العناية بالصياغة، التعبير عن العاطفة، وهي تعالج الأحداث السياسية المحلية والقومية في ضوء تطورات السياسة العالمية وتعبر عن أمل الأمة في استقرار سياسي مزدهر" .[2]

والمقالة السياسية "تتناول مواضيع سياسية مساندة للحكم الثورة عليه، الدعوة إلى رفض الشورى ومن أهم كتابها (الكواكبي)، (الأفغاني)، (محمد عبده)، (الإبراهيمي)."[3]

وعلى كاتب المقالة السياسية أن يقنع القراء بما يكتب، وأن يكون قادرًا على تناول الأفكار السياسية، بصورة جيدة وأن يجعل الأفكار والاديولوجيات التي يقدمها حية ومقنعة على الدوام، وهو يعبر عن ذاتيته دائماً، معلناً مذهبه السياسي في مقالاته بوضوح.[4]

ومن خصائص المقال السياسي هو سهولة الأسلوب، ووضوح المعنى، وسلامة التعبير عن الزخرف اللفظي، والتفنن البلاغي، وذلك لأنها تخاطب الجماهير، وتناقش قضايا سياسية، وكل ما تقصده هو أن تظهر الحقائق، ومن ثم فصاحبها يدلل بالحجة المقحمة على آرائه ويناقش أراء الخصوم،ويفندها بأسلوبه المنطقي، المقنع السهل ،الذي يتناءى عن التهويمات و الإغراق في الخيال وشد الانفعال، وقد نلمس فيها نبرة القوة، و نغمة التحري، حين يستدعي الموقف ذلك كأن يقوم كاتب المقالة بتكذيب اتهامات تنسب إلى وطنه، أو توجيه إنذار إلى معتد مغير، أو الدفاع عن حق مغتصب وإثارة أبناء الوطن لاسترداده، وهذا النوع ما يكتبه رؤساء تحرير الصحف اليومية والمجالات الأسبوعية والشهرية وتهتم بها الصحافة اهتماماً كبيراً، تفرد لها المساحات الكبيرة في صفحاتها[5].

المقال السياسي هو الذي يتناول مشكلة جزئية وأفكار سياسية أو وطنية، وهو يعالج الأحداث السياسية والمحلية والقومية في ضوء تطورات السياسة العالمية.

5- المقال الاجتماعي:

هو الذي "يبسط الكاتب أفكاره ليحل مشكلة اجتماعية، أو يعالج ظاهرة اجتماعية تهدد أمن المجتمع كمشكلة الفقر،أو مشكلة الإسكان، أو ظاهرة البطالة، أو ظاهرة الهجرة للخارج، أو بعض مشاكل الأسرة مثل

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 196.

[2]- المرجع السابق، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899- 1983 م، عبد القادر خليفي، ص 196.

[3] - الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، ص 33.

[4]- ينظر: معالم المقال الأدبي والصحفي، عبد الرحمان عبد الحميد علي، ص162.

[5]- ينظر: فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين على محمد، ص 39- 40.

ارتفاع سن الزواج أو غلاء المهور، أو كثرة الإنجاب، أو العقم، ... وغيرها من المشاكل التي تعوق تقدم المجتمع ورخائه".[1]

والأسلوب في هذا النوع من المقالة يجمع بين الفكر والعاطفة ، ويجنح إلى سهولة العبارة وأنسابها، وأداء اللفظ للمعنى بدون زيادة ولا زخرفة، ولا مجال فيها للتعبير المجازي إلا إذا جاء عفواً أو على سبيل التمثيل والتقريب المعني، والكاتب يلجأ إلى هذا الأسلوب لأنه يتجه بمقالاته إلى طوائف الشعب المختلفة وعلى قدر موهبته في تطبيق القاعدة البلاغية (لكل مقام مقال) يضمن لكتابته التأثير الفعال، ومنها ما يكتبه دعاة الإصلاح الاجتماعي في حتمية التمسك بالقيم الدينية والتقاليد الاجتماعية، مثل المقالات التي كتبها أحمد أمين في كتاب (قبض الخاطر) وما كتبه مصطفي لطفي المنفلوطي في كتاب (النظرات) وعمر المقالة الاجتماعية قصير، لأنها مرتبطة بظروف وقيم اجتماعية غير ثابتة، مالم ترق إلى الإحساس الإنساني العام الذي يخاطب كل الأجيال في أي زمان وفي أي مكان.[2]

وقد جاء في كتاب (التحرير الأدبي) عن سماتها:

- أنها "تتناول الظواهر الاجتماعية، وتتفند العادات السيئة، والتقاليد الضارة، وتنفر منها، وترغب في النافع المفيد.
- تتسم بالدقة والتفصيل في عرض الموضوع.
- الإقناع بتقديم الحجج السليمة والأدلة المبنية على المنطق.
- سهولة الألفاظ وقربها من الحياة الواقعية.
- وضوح المعاني، وترابطها ، والتعليل لها.
- تقديم الحلول، أو السخرية الناعمة أو الحادة إذا كان ما يعرض له يستغني عن الحل"[3]

والمقالة الاجتماعية هي نقطة تلاقي المقالة الاجتماعية مع المقالة السياسية، لأن هذه المقالات تعبر عن انفعالات وأحاسيس، كما تظهر النزعة الإنسانية في بعض المقالات مثل (الإنسان أخو الإنسان) ، (التعاون الاجتماعي) وغيرها من المقالات ذات البعد الاجتماعي الإصلاحي، والطابع العام الذي يطغى على مضمون المقالة الاجتماعية، ويعالج أيضا مشاكل اجتماعية كمشكلة الزواج، والطلاق، وغيرها من العلاقات الاجتماعية[4].

إن المقال الاجتماعي يدرس مشاكل المجتمع ويعالج الظواهر الاجتماعية التي تهدد أمن المجتمع وأسلوبه يجمع بين الفكر والعاطفة،ومن سماته تناول الظواهر الاجتماعية وتتفند العادات السيئة والتقاليد الضارة

---

[1] – المرجع السابق، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين على محمد، ص40.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

[3] – المرجع نفسه، ص 30- 31.

[4] – ينظر: المرجع السابق، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين على محمد، ص 32.

المطلب الثاني: أشكال المقالة.

يوجد نمطان لأشكال المقالة هما:

الأول: "يتكون من عناصر ثلاثة هي: المقدمة – العرض – الخاتمة.

1- المقدمة: هي نواة المقالة، لذا يجب على الكاتب أن يضمنها ما يجنب ويسيطر علي انتباه القاري، فيعرضها في أسلوب ممتع شيق، يشد القارئ ويستهويه ويسترعي انتباهه، فعامل التشويق من أهم العوامل لإغراء القارئ على متابعة المقال حتى نهايته.

والمقدمة قد تطول أو تقصر وذلك يرجع إلى رؤية الكاتب للموضوع، وأياً كانت المقدمة من ناحية الحجم، فيشترط أن ترتبط بالموضوع ارتباطاً عضوياً فتتصل به وتعين على فهمه وتساعد على تجليته فتكون مفتاحاً للدخول إليه.

2- العرض: هو صلب الموضوع وفيه يتناول الكاتب عرض الأفكار عرضاً مترابطاً مستعيناً في ذلك بالشواهد والحجج والبراهين، أي بها يؤكد آراءه واتجاهاته، ويشترط فيه وحدة الموضوع لمساعدة القارئ أو السامع على التركيز والفهم، كما يشترط التلاحم والترابط بين الأفكار.

3- الخاتمة: وهي ثمرة المقالة، ونتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، يعرض فيها الكاتب بطريقة موجزة مركزة خلاصة الأفكار الرئيسية، التي يريد توصيلها للقارئ ولأهميتها يجب أن تكون واضحة مقنعة، لأنها تكون آخر شيء يستقر في ذهن القارئ".[1]

الثاني: ويشمل على عنصرين هما: "العرض والخاتمة.

أي يخلوا المقال من المقدمة، فيبدأ الكاتب في عرض الأفكار وتناولها بطريقة مباشرة دون الحاجة الى تمهيد أو مقدمة، ويرجع ذلك في بعض الأحيان إلى نوع المقال، وطبيعة الموضوع.

ويتأثر المقال في طريقة عرضه ونوع أسلوبه بأمور ثلاثة وهي: الموضوع، الكاتب،دور النشر".[2]

1-الموضوع : فإذا كان الموضوع يناقش قضية سياسية، فإنه يختلف بالضرورة في أسلوبه وألفاظه ومصطلحاته عن المقال الذي يعالج قضية اجتماعية أو فلسفية أو إنسانية ...الخ

2- الكاتب : يتأثر المقال ويتلون بشخصية كاتبه وبيئته وثقافته، لأن الأديب، وهو هنا كاتب المقال يعكس ما يدور حوله في نواحي الحياة المتعددة من صور وعادات وقيم وقضايا ونظريات،...الخ لذلك يختلف الشكل الفني للمقال تبعاً لاختلاف الكتاب ومستواهم الفني والثقافي، فإذا كان الكاتب ذا ثقافة فكرية اتسم أسلوبه بسيمات فكرية، ومال إلى استخدام الحجج والبراهين، والأدلة المنطقية وأهتم بإبراز الأفكار وترتيبها وتسلسلها، واتسمت عباراته بالدقة و الوضوح والسهولة، وإذا كان يتسم بثقافة فنية بيانية، غلب على أسلوبه الدقة في التعبير، وحسن

[1] – دراسات في فنون الأدبي الحديث، عبد العاطي شلبي، ط1، 2005م، ص104.

[2] – المرجع نفسه، ص 104.

الاختيار الألفاظ الملائمة للمعنى، واستخدام الصور البيانية، والخيال لأحداث التأثير الجمالي، عن طريق جمال الأسلوب، وروعة الإيقاع، ودقة الأداء، وجودة الصياغة، كما يختلف أسلوب الكاتب تبعاً للموضوع الذي يعالجه[1].

من صفات الكاتب:

1- الصدق في التعبير.

2-قوة العاطفة، وحرارة الانفعال بالتجربة.

3- القدرة على حسن الصياغة وسلامة العبارات، في أسلوب جذاب يسترعي انتباه القارئ أو السامع.

4- وضوح تراكيب، وليس معنى ذلك أن يكون الأسلوب سطحيا لا يحتاج إلى أعمال العقل في فهمه، بل المقصود هو البعد عن الغموض واللبس وإغلاق المعنى، والعمل علي قوة التعبير ووضوح المعنى.[2]

3- دور النشر:"يراعى عند كتابة المقال وسيلة نشره، فما ينشر لذوي العلم والمتخصصين في كتاب أو مجلة يختلف عما ينشر في صحيفة، لذوي الثقافات المتواضعة والمتوسطة، لأن لغة الصحافة في أغلبها تتسم بسمات معينة منها:

أ- الوضوح والسهولة.

ب- البعد عن الخيال والصور البيانية.

ج- البعد عن التعقيد اللغوي، لأن الكاتب يخاطب جمهور القراء، ومنهم المثقفون وأنصاف المثقفين والأميين الذين من حقهم أن يعرفوا وكما أن للكاتب حرية اختيار شكل المقال وأسلوبه، فله أيضا حرية اختيار الموضوع، والمجالات واسعة ورحبة ومتعددة أمامه، لانتقاء ما يروق له من أفكار وخواطر، فليس هناك مجال محدد يلتزم الكاتب ولا يحيد عنه، وإنما يتسع الموضوع لكل ما في الحياة من تجارب وصور وآراء وأفكار، فالفكر والخيال لا قيود عليها، لذلك فللكاتب حرية التجوال في كل مناحي الحياة المتعددة يلتقط منها ما يحس به، ويحلوا له"[3].

فموضوع المقال "يكون فكرة أو خاطرة تخطر للكاتب، يستمدها من تجاربه الخاصة أو قراءاته المتعددة،أو تأملاته الواعية فيما حوله، فالفكرة ثمرة التأمل والمعرفة، ومن هذه المجالات ما يلي"[4]:

1- المجال السياسي.

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، دراسات في فنون الأدبي الحديث، عبد العاطي شلبي، ص104.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 106- 107.

[3]- المرجع نفسه، ص 107.

[4]- ينظر: المرجع السابق، دراسات في فنون الأدبي الحديث، عبد العاطي شلبي، ص107.

2- النقدي :(كاتب مسرحية، قصيدة، رواية، مقال).

3- الوضعي

4 – الاجتماعي: (الزواج، الصداقة، العادات والتقاليد).

5- القضايا اليومية: (العالمية ، المحلية).[1]

وتخلص إلى أن هناك شكلين للمقالة شكل أول يضم مقدمة وعرض وخاتمة أما ثانٍ يضم عرض وخاتمة

المبحث الثالث: خصائص المقال

للمقال خصائص كثيرة "منها :

1- الإيجاز والبعد عن الأصالة والحشو والاستطرادات التي يميل منها القارئ، ولكن المقالة لم تكن كذلك في مختلف مراحل تقدمها، فقد جاء وقت كانت المقالة تستغرق عشرات الصفحات، وقد كان (ماكولي) و(كارلايل) من أقدم كتاب المقالة في الأدب الانجليزي خلال القرن التاسع عشرة ولكن مقالاتهما كانت طويلة ضافية أقرب إلى أن تكون بحثا شاملا مع احتفاظهما بالمميزات الأصلية للمقالة.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص108.

2 – أنها تعبر عن وجهة نظر الكاتب الشخصية، وقد أصبحت هذه العلاقة الأكيدة بين الكاتب والمقال الذي يكتبه، هي السمة الدالة والعلاقة التي تميزها من سائر ضروب الكتابة النثرية.

3 – إجادة استهلال يجذب القارئ وتسويقه في المقدمة ليقرئ بقية المقالة .

4 – الانسجام بين الفكرة والأسلوب فالمقالة في العادة تقوم على فكرة رئيسية، وعلى الكاتب أن يختار اللفظ الملائم الذي لا يبعده عن الهدف المقصود.

5 – أن يكون الأسلوب الذي تكتب به المقالة واضحاً جميلاً، مؤثراً متميزاً متحرراً، من أهداف الصنعة والتكلف وعباراته غير مبتذلة وكلماته منتقاة.

6 – أن مصادر موضوعاتها حرة متنوعة، فمنها الأحداث الجارية والبيئة،و الإنسان والمجتمع وغير ذلك من المصادر.

7 – عدم وجود حدود فاصلة بين أنواع المقالة، يقول : عطاء كفافي في ذلك قد نرى مقالات فيها بعض خصائص المقالة الأدبية أو بعض صفات المقالة العلمية أو بعض مظاهر المقالة الصحفية، فكيف نحدد نوعها؟".[1]

8– "أن يكون الهدف منها إمتاع القارئ فإذا انحرفت المقالة عن هذا الهدف الرئيسي أصبحت غايتها إعطاء دروس في الأخلاق أو عظات أدبية.

9 – عنصر العاطفة في العمل الأدبي عنصر أساسي، ومن ثم فهو يحتاج في أدائه إلى الخيال الذي هو لغة العاطفة وبعثها في نفس القارئ، ولا يمنع الإمتاع العاطفي في المقالة الأدبية من الموضات الفكرية أو أللفتات الذهنية فالفكر يشد أزر العاطفة، و هي توقظه و تنشطه...فالمقالة الجيدة إذن تتم عن تفكير ناضج و عن عاطفة جياشة.

10 – المقالة عمل فني يتطلب تنسيقه و ترتيبه و إتقانه".[2]

ونخلص إلى أن خصائص المقال تتمثل في :

- أنها قطعة نثرية محدودة.
- تنوع مواضيعه و توافق الأسلوب مع مادة الطول.
- اعتماده على المنهجية (مقدمة ثم عرض ثم خاتمة).
- توظيف الحجج و البراهين و الأدلة قصد الإقناع.
- سهولة أسلوبه ودقة عباراته و توخي العقوبة بدل الصنعة و الزخرفة.
- حسن التنسيق و براعة الكاتب في بسط وجهة نظره و الدفاع عنه.

[1] – المرجع السابق، دراسات في فنون الأدبي الحديث، عبد العاطي شلبي، ص 100.

[2] – المرجع السابق، دراسة في فنون الأدب الحديث، عبد العاطي شلبي، ص103.

الأسلوب: "أسلوب المقالة فيه العبارة الموحية، و الصور الخيالية، والوقوف عند مواطن الجمال و التأثير على نحو يؤدي في النهاية إلى التأثير و الانفعال".[1]

[1]- المرجع نفسه، ص103.

الفصل الثاني:
دراسة لخصائص المقال
عند أحمد توفيق المدني نموذجاً

الفصل الثاني: دراسة لخصائص المقال

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: تعلمه وأهم شيوخه

المبحث الثالث: إسهاماته الأولى في الفكر والثقافة ومؤلفاته

المبحث الرابع: توظيف خصائص المقال عند احمد توفيق المدني أنموذجاً

المبحث الأول: المولد و النشأة

نشأ "في إحدى الديار العربية التي يرجع بناؤها إلى العصر الحفصي الأخير، بنهج الناعورة رقم "4" في تونس العاصمة". [1]

وقد اختلف الباحثون حول تاريخ مولد أحمد توفيق المدني، "فهناك من يقول أنه ولد بتونس يوم 24 جمادى الثانية 1317هـ الموافق لـ 01 نوفمبر 1899م"[2].

والبعض الأخر يقول "يوم 16 جوان 1899م، وهو "أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني من أبوين جزائريين لاجئين إلى، تونس، بعد وقوع الجزائر في قبضة السيطرة الاستعمارية الفرنسية و ما تلاها من السياسية الجهنمية ضد الجزائريين" .[3]

وعائلته "عائلة المدني، عائلة جزائرية اسمها الأصلي عائلة، بن عمر، نسبة إلى أحد الأجداد ،و الذي يأخذ اسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر بحي بن عمر بمدينة القبة بالجزائر العاصمة، وهي من عرب الأندلس، الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام 1492م"[4].

أما والده "فهو محمد بن احمد المدني بن عمر ألقبي نسبة إلى مدينة القبة الغرناطية نسبة إلى غرناطة بأسبانيا"[5] .

درس أحمد توفيق "بالجامع الكبير و جامع الزيتونة،و كان تاجرًا غنيًا مفتشاً مترجماً في منزل فخم وأسرة ثرية، وكان جد والده أمين الأمناء، أي شيخ بلدية العاصمة، و من السادة الأشراف، أما والدته فهي

عائشة بنت عمر بويراز ابن المجاهد الكبير "مصطفي بويراز، الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة أسطوالي الشهيرة"[6].

ولدت "بتونس خلال عام 1877م من عائلة ابن غشام، و هي إحدى كبريات العلاقات التونسية".[1]

---

[1] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج 1، دار البصائر الجزائر، ط 1، ص 13.

[2] – دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أحمد دوغان، منشورات الإتحاد كتاب العرب، 1996م، ص350.

[3] –معجم أعلام الجزائر في القرنين 19و20، عبد الكريم بوصفصاف، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة قسنطينة، ص303.

[4] – مقابلة شخصية، محمد إسلام المدني، مقر إقامته بالابيار العاصمة، 2 جويلية 2006، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899– 1983، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة ماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427هـ– 2006م.

[5] – من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد حسن فضلاء، ج1، دار هومة، 2000م، ص96.

[6] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص14.

و"عائلة بويراز تركية تماماً من الأتراك الجدد، الذين قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الجزائر و استقروا بها"[2].

و الحقيقة " عائلة مترجمنا بفرعيها المدني و بويراز من العائلات التي شردها الاستعمار الفرنسي في أعقاب ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م ،فاختارت الهجرة خارج البلاد إلى البلدان الشقيقة و الصديقة، فكانت تونس مقصداً لها، عوضاً عن بلدها الأصلي الجزائر"[3].

أما رحلته "خلال رحلة الهجرة و التوجه إلى تونس حدث التعارف و التقارب بين العائلتين، ولحق الاستعمار الفرنسي بهم في بلد اللجوء فرواها بين من ظلم فرنسا، حيث ينشدون السلام و الأمن في استانبول، عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك"[4]. وكذلك في حديثنا عن أفراد عائلته "أن جميع أفراد عائلة بويراز عادوا إلى تركيا بعد سنة 1909م عدا والدة مترجمنا"[5].

و تعد عائلة جدة لأمه عمر بويراز" عائلة ثورية فعالة محمد بويراز كان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي، كما أن خاله الحبيب بويراز كان له دورُ أيضا في الثورة الكمالية مع مصطفي كمال باشا".[6]

عدد أفراد عائلته "عائلة (أحمد توفيق المدني)متكونة من أربعة إخوة، ثلاث ذكور و هم الهادي و أحسن ومحمد علي و بنت واحدة تدعي (خديجة)".[7]

---

[1]– صفحات مجهولة ن حياة المغفور له أحمد توفيق المدني، إكمال الدين أحسن أغلي، نقلا عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة ماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427 هـ – 2006م، ص 36.

[3]– رحم الله أحمد توفيق المدني، الجابري محمد الصالح، مجلة الحياة الثقافية، العدد 22– 29،تونس 1983م، نقلا عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة ماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427 هـ – 2006م، ص03.

[4]– مقابلة شخصية، محمد إسلام المدني،مقر إقامته بالايبارالعاصمة، 2جويلية 2006م، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي.

[5]– صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني، إكمال الدين أحسن أغلي، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي، ص36.

[5]– مقابلة شخصية، محمد إسلام المدني مقر إقامته الايبار العاصمة، 2جويلية 2006م، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي.

[6]– صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني، إكمال الدين أحسن أغلي، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي، ص36.

[7]– مقابلة شخصية، محمد إسلام المدني، مقر إقامته الايبار العاصمة، 2 جويلية2006م، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي.

و قد أورد مترجمنا في مذكراته، "خلفيات تسميته باسم توفيق، إذا هو أطلقت عليه أيام حرب طرابلس سنة 1911م، عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا فتحي بك، و هذا في إحدى الجلسات الخاصة أقامها السيد المختار كاهية، حيث استرعى انتباه القائد بحيويته و ذكائه، رغم صغر سنه فسأله عن اسمه، ثم دعاه منذ تلك اللحظة فقال " أنت أحمد توفيق . توفيق " فشاع الاسم، و اشتهر و عرف به الرجل، و هذه الأسماء مشهورة لدى الأتراك، و حسب الكاتب (إحسان حقي)، فإن الأشخاص الأتراك أو من هم من أصل تركي يسمون أولادهم : (عثمان)، و(أدهم) ،و (نور الدين)، و (توفيق)".[1]

نشأ مترجمنا في وسط جو عائلي إسلامي الروح، إذ تربى في أسرة كريمة، ذات أخلاق عالية حميدة منذ صغره، وقد روى بنفسه في مذكراته قائلاً كانت الحياة في منزل فخم حياة ناعمة سعيدة ...لم أكن ألعب مع الأطفال ، و أنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم وصراخهم ، وما يقولونه من بذئ الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى و أسال أمي عنه فتراوغ في الجواب، و تقول لي إياك أن تختلط بهم ... و كانت الأم تجتهد في تعليمي سوراً من القرءان و بعض الآحاديث النبوية ... وما كان حديثها معي إلا عن الشريعة الإسلامية والحث على العمل الصالح الطيب.[2]

فوالدته "كانت على جانب معتبر من الثقافة الإسلامية، كما كانت لها عناية بالقرآن و الحديث حفظاً وفقهاً، و قد كانت لا تدخر جهداً في رعاية أولادها، تربيتهم تربية مثالية تقوم علي العقيدة الصحيحة،و الأخلاق الكريمة، و السلوك الحسن، حيث كانت حذرة جداً عليهم من مخالطة الوسط الاجتماعي، و ما ينجز عنها من انحراف، خاصة إذا كان المختلط بهم ممن لا أخلاق لهم".[3]

أما "والده، فقد كانت به بقية من كبار علماء الجزائر، و قد درس بالجامع الأعظم، الزيتونة و كان يصحبه معه للصلاة،و يحادثه في الحكم و الإرشاد، و يحكي له جرائم الاستعمار بالجزائر"[4].

كما نهل من جده عمر بويراز، و أخذ من ينابيع ثقافته الدينية و الاجتماعية الواسعة حيث تعلم عنده دروسا في الدين و الأخلاق و السيرة النبوية، و دون اعتقال الحديث عن واقع المسلمين عامة، ومسلمين تونس و الجزائر تحت ظروف الاحتلال الفرنسي، و في هذا الصدد يقول المدني " كانت دار جدي مدرسة حقيقة، سامية الأهداف ... كنا نحيط به رجالاً و نساء و صبيانا، فيلقي علينا كل ليلة دروسا في الدين و الأخلاق الفرنسي

---

[3]– المرجع نفسه، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899م– 1983م، عبد القادر خليفي.

[2]– ينظر: أعلام من المغرب العربي، الصديق محمد الصالح، ج3، موقع للنشر، الجزائر2000م ، ص113.

[3]–المرجع السابق، أعلام من المغرب العربي، الصديق محمد الصالح، ج3، ص113.

[2]– معجم مشاهير المغاربة، أبو عمران الشيخ وآخرون، المؤسسة الجزائرية للطباعة، جامعة الجزائر،1995، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة ماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427 هـ – 2006م، ص483.

بالجزائر، و ماسية و قطائعه إلى أن يستقر شعورنا، و إلى أن تسيل دموعنا و يقول لنا كلمة: إن هذه الدموع هي خميرة المستقبل[1].

وشكل بيت خاله محمد بويراز المدرسة التي أنارت فكرى، وأيقظت إحساسه الوطني بما كان يبثه فيه من أفكار حول الحرية،ورفض حياة الذل و العبودية و النقمة علي المستعمر[2].

وقد "تأثر مترجمنا بجانب أخر بالمستوى الحياتي الراقي في شقة المادي، والتدني في مستواه الروحي والأخلاقي، والبعيد عن معاناة و آلام الشعوب الإسلامية المستعمرة وهذا في منزل خال أمه، الذي اعتبره انعكاساً للوسط التونسي" .[3]

والواقع "أن (توفيق أحمد المدني) نشأ وشب في وقت كانت الجروح كلها لم تزل تنزف، فمن الطبيعي أن يكون قد وضع و هو بعد طفل في المهد، قيم الوطنية و الثورة و الآباء، ومن المعقول أن يكون إحساسه بالمحنة من القوة، بحيث لا يضاهيه إحساس، فلقد ولد فيه و عاش من أجله، حيث أصبح بسبب كل هذه العوامل المذكرة معدا نفسياً، و روحياً و فكرياً، لخوض المعركة الفكرية، والتسلح بالأسلحة العقائدية، والتحصن بحصانة الثقافة الإسلامية، بالانتساب إلى المدارس الموجودة آنذاك بتونس"[4].

وبحلول العام 1915م و" أثناء أحداث الحرب العالمية الأولى و ما صاحبها من أجواء الحصار والمراقبة، اعتقل أحمد توفيق المدني بتهمة التحريض ضد فرنسا، ليمكث في سجنه حتى نهاية هذا الحرب، ليطلق سراحه في أواخر عام 1918م، ونتيجة لثوريته ونشاطاته السياسية، وكتاباته الصحفية، تم إبعاده إلى الجزائر سنة 1918م حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني ، و كلهن متزوجات من عائلتي الموهوب بن علي و بوركايب و هما من العائلات المعروفة ذات الأصول التركية"[5].

أما بالنسبة لمقالاته الصحفية "فهي التي تدل على ثقافة فكرية واسعة وأسلوب علمي متين".[6]

---

[1]– ينظر: حياة كفاح أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص 21– 22.

[2]– ينظر: أعلام من المغرب العربي، صديق محمد صالح، ج3، ص 113.

[3]– حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص 25.

[1]– وثائق العثمانية أهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني لتدوين وكتابة تاريخ الجزائري الحديث، فكري طونا، مجلة التاريخ، الجزائر النصف الأول من سنة 1985م، العدد 18، نقلا عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة ماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427 هـ – 2006م، ص 57.

[5]– مقابلة شخصية، محمد إسلام المدني، مقر اقامته الايبار العاصمة، 2جويلية2006م، نقلا عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م، عبد القادر خليفي.

[6]– تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار، الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007م، ص375.

لقد أتم الرجل نصف دينه، فكان زواجه بطريقة تقليدية من (بنات عمه) زكية بنت الزبير من الأمين، وهي من عائلة مصاهرة لعائلة المدني، ذات أصول عربية أندلسية، و هناك تعارف بين العائلتين منذ زمن، أقيم حفل الزفاف في يوم الثامن من شهر ماي 1929م، عندما تعدي عتبة الثلاثين سنة، وهي تعتبر سن متأخرة إذا ما قورن بزواج أترابه في ذلك الزمان، ووصف مترجمنا حياته الزوجية بأنها كانت بحراً من السعادة، ونموذجاً للحب و الإستقرار، مما كان له عظيم الأثر علي نجاحاته و مشاريعه.[1]

نجاح أسرته "أثمر هذا الزواج أربعة أنباء : ثلاث بنات، و هن: سليمة و حسيبة وفيروز و ابناً وحيداً و هو (محمد إسلام) لا يزالون جميعاً على قيد الحياة".[2]

ومما يجب "التذكير به أن الشيخ أحمد توفيق المدني، قد ترك أسرته قسراً، نتيجة إبعاده فكان وحيداً بالجزائر، و قد ذكر في مذكراته بأنه كان يعيش عيش اللاجئين في العام الأول و الثاني لإبعاده، فقد حُرم أجواء الحياة العائلية، و كان يتحتم عليه تدبر أموره المادية، و التي اعتمدت أساساً على ما يتقاضاه شهرياً من جريدة النجاح مقابل تحرير المقالات في السياسية الخارجية ممضاة باسم الخبير، هذا علاوة على بعض الإعانات الممنوحة له من الحزب الدستوري، و كذا من والده ، و التي قدر مجموعها ما لا يتعدي الألفي فرنك قديم غطى بها بعضنا من الديون المترتبة عليه"[3].

لقد "ولج مترجمنا عالم التجارة لتغطية حاجاته من خلال فتحه لذا كان بقلب العاصمة الجزائر بشارع بوتان رقم "4" ، دعاه "المستودع التونسي لمساعدته باقتراح من صديقين تونسين هما: الطاهر المنستيري والصادق المنشيري وبقى يزول النشاط به لمدة سنتين،وفي شهر أفريل 1928م، اقترح عليه السيد عمر الموهوب أن يتولى إدارة مكتبة الواقع بشارع " لالبير" ، حيث استقر به إلى غاية انتدابه من طرف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة للالتحاق بوفدها في القاهرة سنة 1956م، و الحقيقة أن الظروف المأساوية التي عاشها لم تكن عوائق في وجه إبداعه الفكري و الثقافي، و نشاطه السياسي، بل أعطته دفعاً قوياً للإنتاج و التأليف واكتساح المنابر"[4].

---

[1] – ينظر: حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص143 – 148.

[5] – مقابلة شخصية، محمد إسلام المدني، مقر إقامته بالابيار العاصمة، 2جويلية 2006م، نقلا عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م، عبد القادر خليفي.

[3] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص98.

[4] – المرجع نفسه، ص99.

المبحث الثاني : تعلمه وأهم شيوخه.

كانت عائلة المدني كغيرها من العائلات العربية الإسلامية تقوم بتوجيه أبنائها منذ نعومة أظافرهم إلى التعليم القرآني، ولذلك و عند بلوغه سن الخامسة من عمره، و أدخله والده إلى الكتاب " المدرسة القرآنية " ويصف الشيخ أحمد توفيق المدني لحظة الدخول الأول قائلاً: " ذهب بي الوالد يوماً إلى الكتاب، و قد بلغت الخامسة، و قام له تحية إجلال و تقدير، والصبيان ينظرون مندهشين ... أما أنا فقد تركز نظري على ما لست أنساه مجموعة كبيرة من العصي مخصصة للتأديب"[1].

فتعلم "القراءة و الكتابة و القرآن، و هيئ تهيئاً حسنا للدخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية، و التي كانت أول خطوة خطاها في مشواره التعليمي ، حيث التحق بها سنة 1909م، و قد بلغ سن العاشرة" [2].

وأسلوب أحمد توفيق المدني، هو أسلوب خطابي مفعم بالعواطف الجياشة والمبلغات التصويرية الفعالة[3].

ومن بين شيوخه (محمد صفر) فتلقى على شيوخها مبادئ اللغة العربية، و علوم الدين والحساب، والكيمياء، والعلوم الطبيعية، ومبادئ اللغة الفرنسية.[4]

لقد "كان يروي لزملائه، ما اختزنته ذاكرته من أحاديث أبيه، وجده، وخاله، عن وجوب العمل للنهوض من حياة الذل و الهوان و التخلف، التي كانت تعم مختلف الميادين، و العمل على تقويم الأخلاق، و السعي لجمع كلمة المسلمين، فهو رغم صغر سنه، كان يتصفح مجلة " العروة الوثقى"، التي أصدرها بباريس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده عام 1884م، وكذا مجلتي " المؤيد" و "اللواء" لسان الحزب الوطني المصري، والتي كان خاله محمد بويراز يتصفحها للاستزادة في ثقافته، و معرفة آخر الأخبار التي يشهدها العالم الإسلامي، الواقع تحت سيطرة القوى الاستعمارية الأوروبية أنذلك، وفي عام 1913م توقف (أحمد توفيق المدني) عن الدراسة بالمدرسة القرآنية، فخرج منها متشبثاً بعلوم شتى ومختلفة على يد خير الأساتذة والشيوخ".[5]

---

[1] – المرجع السابق، حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1 ، ص18.

[2] – مشاهير التونسيين، محمد بوذينة، دار بيراس للنشر، ط2، تونس1992م، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899 – 1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة الماجستير)، 1427 (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينه – 2006م، ص114.

[3] – ينظر: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، 2007م، ص 63.

[4] – ينظر: حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص 20.

[5] –المرجع نفسه، ص20.

وقد "كان خطيب هذه المدرسة، كاتبها البارز بتوجيه من أستاذه (الشاذلي المورالي)، فأخذ يخطب و يكتب مواضيع يضمنها أفكاره عن حالة الوطن، و عن واقع الإسلام و المسلمين، في كافة أنحاء العالم الإسلامي" [1].

وفي السنة نفسها التحق بجامع الزيتونة (الجامع الأعظم) و عن حياته الدراسية، و المنهج الذي اتبعه، يروي لنا ذلك قائلاً: أما بجامع الزيتونة، فقد اخترت لنفسي منهاج الدراسة الخاص بي، لا أتقيد بصف، و لا أشارك في امتحان، كما أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب، فاخترت لنفسي دروساً على أجلة مجموعة من الأساتذة، كالشيخ (النخلي) في التفسير والشيخ (محمد بن يوسف) في البلاغة، والشيخ (الصادق النيفر) في الفقه، وقد كان المدني يلازم الدروس كل يوم دون انقطاع، تبتدئ بعد صلاة الصبح، وتنتهي بعد أداء صلاة العشاء، مع ما يتخلل ذلك من حفظ لمختلف المتون، كلامية الأفعال، والسلم، الدرة، الألفية، وغيرها[2].

وقد درس بالمدرسة الخلدونية وهي التي تعد تكملة للمدرسة الزيتونية، و في هذه المدرسة تقيد المدني بمنهاج دراسي دقيق مادة التاريخ على يد الأستاذ الجليل، (حسن حسني عبد الوهاب) المؤرخ الشهير، الذي أخذ عنه الحكمة، و فصل الخطاب أيضاً، و ما لبث أن قويت الروابط بينهما، ليقوم الأستاذ بإهداء مجموعة كتبه إلى تلميذه .[3]

كما "كان سريع التأثر به، و يبدوا ذلك جلياً في التوجه التاريخي لحياته العلمية، و مما يمكن التنويه به أن كليهما قد وفق لعضوية مجمع اللغة العربية" [4].

وعندما انتسب إلى المدرسة الخلدونية تلقى فيها الرياضيات والتاريخ والعلوم العصرية، كان شغوفاً بالمطالعة، فصار يستعير الكتب لقاء أجر زهيد، حيث أن سوق الروايات الكبيرة كان يومئذ في رواج، و اشتهر الشيخ (علي بوغدير) بدكانه المخصص لبيع و كراء الكتب، فيأخذ المدني رواية لمدة ثلاثة أيام مقابل دفع 10

[1]- مشاهير التونسيين، محمد بوزينة، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899-1983م، عبد القادر خليفي، ص144.

[2]- ينظر: لمحات من حياة وأعمال أحمد توفيق المدني 1899- 1983م، محمد بالقراد، مجلة التاريخ،الجزائر النصف الأول من سنة 1985 ، العدد18، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899- 1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة الماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427هـ- 2006، ص 58.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899- 1983م، عبد القادر خليفي، ص 79.

[4]- حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص 63- 64.

سنتيمات و استطاع أن يستثمر وقت فراغه في مطالعة الروايات المعربة عن كبار المؤلفين الأوروبيين أمثال (وليام شكسبير) و (ميشال زيفاكو)، وهو ما فتح له نافذه أطلع من خلالها على تفكير العالم الغربي [1].

ولعل" أبرز مظاهر الإرادة القوية، والرغبة الجامحة في نهل المعارف، أن جعل المدني من سنوات سجنه مدرسة طوّر خلالها ثقافته، و طالع شتى الكتب العلمية، والأدبية والدينية التي وفّرها له أصدقاءه وأهله، حيث لم يستسلم لرغبة المستعمر في تحطيمه منذ الصغر"[2].

وبعد إطلاق سراحه من السجن عام 1918م، ورجع إلى ميدان الدراسة، فواصلها من جديد بالزيتونة، لكنه انقطع قبل الوصول إلى نهايتها، وأخذ الشهادة العالمية من الجامع المعمور، هذا لانضمامه إلى حركة الكفاح السياسي عقب تأسيس الحزب الدستوري الحر[3].

و قد كان موقف الشيخ حمودة المنستري من أمر هذا الانقطاع و التوجه الجديد مطابقاً للواقع عندما خاطبه قائلاً " أظن أمدها قد انتهى، و في هذا الكفاح الذي بناشره اليوم تموت غاية الذات، و لا تعيش إلا غاية الوطن"[4].

و يلخص الدكتور (عمر بن قينة) أن الرجل قد جنح إلى تكوين نفسه بنفسه، فكان موهبة فذة تكونت ثقافياً بعصامية نادرة، ثم دخل معترك الحياة الفكرية، و الأدبية من باب السياسة، و شرع في فترة مبكرة يشترك في النشاط السياسي بتونس [5].

ومن بين شيوخه:

الشيخ النخلي في التفسير والشيخ محمد بن يوسف في البلاغة والشيخ الصادق النيفر في الفقه والشيخ محمد بن القاضي في النحو والصرف والشيخ محمد بن شعبان في المنطق والفلسفة والشيخ معاوية التميمي في أدب اللغات العربية.[6]

---

[1] –ينظر: المرجع السابق، حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص 64.

[2] –من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد حسن فضلا،ج1، ص 97.

[3] – ينظر: أحمد توفيق المدني1899– 1987م، فاطمة تازير و فضيلة تكور،مجلة التاريخ، الجزائر النصف الأول من سنة 1985، العدد18، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899– 1983م، عبد القادر خليفي، (عبد الكريم بوصفصاف)، (رسالة ماجستير)، (قسم التاريخ والآثار)، جامعة قسنطينة، 1427هـ– 2006م، ص 07.

[4] – ينظر: وثائق العثمانية وأهميتها عند أحمد توفيق المدني، فكري طونا، نقلاً عن أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899– 1983م، عبد القادر خليفي، ص 60.

[5] – أحمد توفيق المدني توفيق المدني المفكر، و الكاتب المنسي عمر بن قينة:
www .dam .org/book/00/study00/283_a_k/imd/book00_shd001_htm.18:34 :07 2015-12-26

[6] – ينظر: حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني،ج1، ص 61.

المبحث الثالث: إسهاماته الأولى في الفكر والثقافة و مؤلفاته

لقد فرض (أحمد توفيق المدني) نفسه على الساحة الإعلامية، فهو من الشخصيات التي أثرت علي مسار الصحافة التونسية، إلى جانب تأثيرها على الحياة السياسية، حيث ظهر نبوغه منذ نعومة أظافره، إذا فاق ببعد نظره، و استقامة فكرة أقرانه في المدرسة، و اشتهر بالذكاء، و السلوك الحسن، مع التمسك بالمبادئ، و هو ما مكنه من أن يحظى بمنزلة من المحبة و الإكبار و التقدير من طرف رفاقه و أساتذته.

إن المتتبع للنشاط الفكري (لأحمد توفيق المدني) في مراحل حياته الأولى بتونس، يلاحظ بلا شك ذلك التنوع وتلك التجربة الثرية، ما بين العمل الصحفي، وحركة التأليف و المشاركة في بعث منتديات العمل و الفكر.

النشاط الصحفي :

عمل أحمد توفيق المدني الصحفي المؤرخ والخطيب الثائر والفصيح المنفرد ضمن الأعمال الوطنية والنضالية ، لإنقاذ أناس شرّدهم المستعمر من حقوقهم ومن ثقافتهم[1]

حيث كانت "البداية الصحفية لمترجمنا بمطالعته الصحف التونسية في سن العاشرة من عمره،حيث طالع أعداد (العروة الوثقى) و(المؤيد) و (اللواء)، و هي تعد اللسان الناطق بتوجيهات الحزب الوطني المصري، و هذا في بيئته الأسرية الضيقة على مستوى دار خاله، (محمد بويراز)، فكان يتفوق على زملائه بالمدرسة، التي كانت أكثريتهم تلهج باسمه، وتردد خصاله، وتتجمع من حوله تستمع إلى أحاديثه عن القضايا السياسية، وحال الوطن". [2]

وعلى مستوى المدرسة القرآنية الأهلية، فقد "كان إلى جانب الاهتمام بالدراسة، يقوم رفقة زملائه بتبادل الصحف التونسية، التي كانت تنمو فيها الروح الوطنية الإسلامية، مثل صحف (الراشدية)، و (المرشد)، و (المنبر)، و (التونسي)، و (الاتحاد الإسلامي)، إلى جانب ما تيسر الحصول عليه من صحف مصرية، و تفادياً السقوط في المشاكل المادية، تم تبنى طريقة تداول الصحف" [3].

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت غنية بالنشاط العلمي و الفكري، فقد شهدت ميلاد المدرسة الخلدونية، و ازدهار الصادقية، و إصلاحيات جامع الزيتون المعمورة، كما كان كثير النشاط في المجال الثقافي، فقد كان يرسل جريدة (الفاروق) عام 1914م، وكتب عدة موضوعات انتقاديه في جريدته ، (حسين الجزيري)، الذي توطدت علاقته به، وهو المعروف بعدائه لفرنسا.[4]

---

[1] – ينظر: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا حنبعل قرطاجنة، أثار أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م، ص 06 .

[2] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص24 – 28.

[3] – تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله 1830–1954م، ج7، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، ص67.

[4] – ينظر: تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار، ص418.

أما بالنسبة لمجال التحرير "إن علاقته بالتحرير ترجع إلى سن مبكرة، إذ أصدر مقالات أسبوعية بجريدة الفاروق هو في السادسة عشرة من العمر بلغت خمسة مقالات، وهي تعتبر باكورة الجهاد الاجتماعي و السياسي، إذا ضمنها آراءه و أفكاره، حيث كتب مقاله الأول بعنوان الإدمان أول وزير للموت صدر في شهر نوفمبر 1914م، ثم أتبعه بالمقال الثاني دعوة إلي الواجب أو المرأة التونسية و التعليم نشر في 4 ديسمبر 1914م، و حمل عنوان كيف ننقذ و طننا ؟" [1].

ويصف المدني بدايته الصحفية بالجريدة المذكورة قائلاً " هكذا ابتدأت حياتي بالجريدة الصحفية المبكرة، و قد لازمتني سنتين سنة، ولا أنسى ما اعتراني من نشوة، وما وجدته في نفسي من اعتزاز، عندما جاءنا الفاروق في نوفمبر 1914م يحمل بين طياته ذلك المقال المطبوع باسمي، كأنني ملكت الدنيا و ما فيها"[2] .

ومقالاته عديدة كلها حماس يتطاير منها شر المناضل الجريء اليقظ، ويسودها التعبير المتين السهل الصافي، تعبير الكاتب المؤثر المقنع، وأسلوبه في الصحف يدور حول الحوض العربي الإسلامي وفي كتبه يحي ذكرى الأجداد وينصف حقهم ويقيم في قلبه وقلوبنا أهم تمثال خالدِ.[3]

مؤلفاته:

ومن بين مؤلفاته في التاريخ والسياسة والأدب:

1- تقويم المنصور ويقع في خمسة مجلدات 1922- 1930.

2- كتاب تاريخ الجزائر

3- كتاب جغرافية القطر الجزائري 1948تونس.

4- كتاب قرطاجنة في أربعة عصور 1927م.

5-كتاب الجزائر 1930م.

6- هذه هي الجزائر 1957 القاهرة.

7- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا 1946م تونس.

8- حرب الثلاثمائة (1496- 1796)م 1968م.

9- حياة كفاح ثلاثة أجزاء 1977- 1986م.

وهناك مؤلفات نشرت ولم يعثر عليها ومن بينها

1- الحوليات الأربعة لتقويم المنصور.

---

[1]- حياة كفاح ، أثار أحمد توفيق المدني،ج1 ، ص77-79.

[2]- تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار، ص377.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص378 .

2-تاريخ الجزائر القديم.

3- تاريخ الجزائر في العهد العثماني[1]

وفاته:

"توفي بالجزائر العاصمة يوم 12 محرم 1404هـ الموافق لـ18 أكتوبر 1983م"[2].

[1]- ينظر: . هذه هي الجزائر، أثار أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م،ص 351.

[2]- المرجع نفسه، ص 12.

المبحث الرابع: توظيف خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني:

نجد توفيق المدني يوظف خصائص المقال في مقالاته وهو ما لمسناه من خلال وقوفنا على هذين المقالين وهما: بين لجج الهواجس و كيف ننقذ وطننا؟، وقد حصرنا هذه الخصائص في بعض النقاط نذكر منها:

1) توظيفه لعنصر العاطفة توظيفاً حسناً من أجل التعبير عن إحساسه ورقة سيرورته، فنراه يقول في مقاله بين لجج الهواجس:

"ذات يومٍ أخذت أفكر في حالة البلاد وما وصلت إليه من التعاسة والشقاء"[1].فالعاطفة هنا تجلت في شعوره اتجاه بلاده وما آلت إليه من التعاسة والشقاء ما جعلت نفسه تروق إلى رؤيتها.

ثم يستخدم هاته العاطفة في موضع آخر فيقول:" أردت السباحة فيه، لأطفئ قليلاً من النار المتأججة بين ضلوعي، فنزعت عني ثياب الخمول".[2] فعاطفته عبر عنها بأسلوب الاستعارة حيث شبه همه بحجم النار التي لا يطفئها إلا الماء، فأراد السباحة لعله يتخلص من هذا الهم. .

ويقول كذلك "في هذه الحالة يئست من حياتي، وعزمت أن أترك المقادير تجري في أعنتها"[3].فهنا تكمن عاطفته نحو فقدان للأمل في الحياة واليأس والشعور بخيبة أمله والإحباط.

ثم يعود ويتحدث عن العاطفة مرة أخرى فيقول:"الأمل"[4] فأمله هنا تجلى في تحرير بلاده لان لديه طموح وأمنية كانت بالنسبة له كأمنية عظيمة يود تحقيقها.

كما نجده يوظف عنصر العاطفة في مقاله كيف ننقذ وطننا قائلاً: "وهكذا سرت في هذه الطريق الوعر المحفوف بكلّ المخاطر، غير هياب ولا حل، إلى أن أصبح الخيال حقيقة والمستحيل موجود، ورأت بلادي حرة، ورأيت بلاد أقطار العروبة والإسلام مستقلة، ورأيت ريات النصر مرفوعة خفاقة غزيرة الجانب في كل المجالات"[5].

2)من الخصائص كذلك تعبيره عن وجهة نظره الشخصية في مقولته بين لجج الهواجس فيقول: "فمن أين لكم أن تحكموا هذا الحكم ، وما هي الأسباب التي تجعلكم تعتقدون أن الألمان الأسرى يقبلون رفع السلاح من حديد والمقاتلة"[6]. نلاحظ أن الكاتب من خلال مقولته يرى أن انضمام الأسرى الألماني إلى الجيش التونسي من أجل الانتفاضة ضد الجيش الفرنسي، ما هو إلا حكم سابق، لأن الألمان يمكن أن يتحالفوا مع الفرنسيين.

ثم يستخدم رأيه الشخصي في موضع آخر فيقول:" في هذه الحالة يئست من حياتي ، وعزمت على أن أترك المقادير تجري في أعنتها، وعلمت إنني من الهالكين، وبينما أنا في هذا اليأس الشديد، والكرب الذي لا عليه

---

[1]- حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني،ج1، ص132.

[2] – المرجع نفسه،ص 132.

[3] – المرجع نفسه،ص 132.

[4] – المرجع نفسه،ص 132.

[5] – المرجع نفسه، ص 120

[1] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1،ص 138.

من مزيد، تراءت في الأفق إحدى الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، ألا وهي سفينة كبرى، مكتوب على واجهتها بالأنوار الكهربائية اسمها الأمل"[1].في هذه الفقرة عبر الكاتب عن حالته النفسية والمتمثلة في فقدانه للأمل من الحياة، وبينما هو يتصارع مع نفسه إذ تظهر سفينة مكتوب عليها الأمل، بثت في نفسه روح النشاط مما جعله يستسلم ويرجع إلى الحياة.

كما نراه يعبر عن وجهة نظره الشخصية في مقاله كيف ننقذ وطننا فيقول:"إننا ضيعنا لغة أبائنا وأجدادنا لغة ديننا الإسلامي لغة قرأننا والشريف الطاهر تلك اللغة العربية الفصحى"[2]. في هذه الجملة نجد الكاتب يوضح لنا أن الأمة الإسلامية لم تحافظ على لغتها وتراثها وثقافتها العربية، بينما نجد بالمقابل أن الغرب الأوروبي يتقن لغتنا أكثر منا، فهو يريد إبراز وجهة نظره اتجاه العالم العربي وتأثره بالعالم الغربي.

3) ونجد من الخصائص كذلك استخدامه مصادر موضوعات حرة متنوعة فمنها الأحداث الجارية والبيئة والإنسان والمجتمع في، مقاله كيف ننقذ وطننا فيقول : " بداية الانطلاق العنيف في ثورة عارمة متواصلة مستمرة، ثبتت أمام السجون والمنافي وازدرت العراقيل وحطمت السدود وتغلبت على الصعوبات مهما كانت"[3] فهنا الكاتب يحاول أن يسرد لنا أحداث جارية أثناء الثورة في بدايتها من شدة قوتها وعنفها.

وكذلك نجده يقول:"في ليلة من ليالي ديسمبر اجتمعت بالأخ المفضل الصادق ألرزقي في زاوية من قاعة المكتبة الخلدونية وكان البرد قاسياً لا يطاق والسماء تهطل مدراراً، ولم يكن بالقاعة حول الكتب سوانا وسوى القيم الذي يكاد يهوي من فوق مقعده برداً واعياءاً " [4] الكاتب في حديثه وظف بعض المفردات التي تدل على البيئة في سرده للأحداث الجارية في ليلة من شهر ديسمبر.

كما لمسنا كذلك في مقاله بين لجج الهواجس فيقول"إننا خلفنا عاداتنا القومية تقليداً أعمى للتمدن الأوروبي الحديث،فأنت تجد الأغلبية من شبيبتنا المتنورة، مرتدين الثياب الأوروبي، حاملين العصي المزركشة المنقوشة بالرسوم الجميلة، وإن منهم لكثيرون يمرحون في الشوارع، وهم يتأبطون أذرعه فتيات أجنبيات" 5نجد الكاتب يحاول وصف حالة البلاد وما آلت إليه من تدهور بسبب تقليد الأعمى للأوروبيين.

---

[1] – المرجع نفسه، ص132.

[3] – المرجع نفسه، ص 121.

[3] – المرجع نفسة، ص125.

[5] – المرجع نفسة، ص126.

[5] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، ج1، ص 117.

4) وكذلك يستعمل خاصية أخري وهي إيجاد استهلال يجذب القارئ وتشويقه في المقدمة ليقرأ بقية المقالة ويقول في مقاله كيف ننقذ وطننا المعنون "كيف ننقذ وطننا"[1] فنجد الكاتب يضع عنوان مقاله عبارة عن استفهام ليجذب القارئ ليقرأ المقالة وإضافة إلى بعض الفقرات منها أبحث عن أسباب التي دهورت الوطن وهلاكه.

ونلتمس أيضاً في مقاله بين لجج الهواجس فيضع عبارة عن عنوان مقاله"بين لجج الهواجس"[2] فكلمة الهواجس التي استعملها عبارة عن خوف الذي يكنه فهذا من أجل أن يجذب القارئ ليقرأ المقال.

5) ومن خصائصه نجد أيضاً أسلوبه واضحاً مؤثراً جميلاً متميزاً متحرراً من أهداف الصنعة والتكلف وعباراته غير مبتذلة وكلماته منثقاة وهذا ما نلتمسه في مقولته بين لجج الهواجس يقول : "توكلت على الله، فتأبطت الإيمان، وتذرعت بالعزيمة وأخذت أعمل الحيلة من أجل الانتقال السريع للجنوب بصفة لا تجذب إليها الأنظار" [3]هنا الكاتب يوضح لنا إسراره على العزيمة والثبات بالإيمان من أجل الانتقال السريع إلى الجنوب حتى لا يجذب إليه أنظار الناس.

ونجده أيضاً يقول " وإذا بقارب صغير الحجم، أخضر اللون، انفصل عن السفينة مكتوب على جانبه الأيمن الإنقاذ، وعلى ظهره شاب أرسلت به السفينة لإنقاذي"[4]هنا الكاتب يصف ويوضح لنا القارب بلونه وحجمه الذي تم إنقاذه بأسلوب واضح مبسط .

6) ويوظف كذلك خاصية عدم وجود حدود فاصلة بين أنواع المقالة من خصائص أدبية وبعض صفات المقالة العلمية أو بعض مظاهر المقالة الصحفية في مقالته كيف ننقذ وطننا يقول:" أبحث عن الأسباب التي دهورت الوطن إلى مهاوي الهلاك... وأبحث كذلك عن الوسائل التي يلزمنا اتخاذها... جلبنا الشقاء لبلادنا التعسة بأشياء عديدة أولها: إننا تركنا شعائرنا الدينية المطهرة و نوامسها المحمدية الغراء وثانيها: إننا خلفنا عاداتنا القومية ... نعم يا للأسف هذا فقط ما استطعنا أن نقتبسه من التمدن الأوروبي ..."[5]الكاتب هنا دمج بين المقال الصحفي والأدبي، ومقاله هو عبارة عن مقال صحفي استعمل فيه لغة أدبية حيث يقول أبحث ..يا للأسف ..وأبحث كذلك.

6) ومن الخصائص كذلك استعماله عبارات وأسلوب يمتع به القارئ في مقاله كيف ننقذ وطننا فيقول:"إننا ضيعنا لغة أبائنا وأجدادنا لغة ديننا الإسلامي، لغة قرآننا الشريف الطاهر، تلك اللغة العربية الفصحى التي إذا افتخرا عا لم أروبي في عصرنا هذا فإنه يقول: أنه يحسن العربية قبل كل شيء، لغة أولئك الكرام الذين دوخوا الدنيا بفتوحاتهم،

---

[1] – المرجع نفسه،ص 117.

[2] – المرجع نفسه، ص132.

[3] – المرجع نفسه، ص135.

[4] – المرجع نفسه، ص133.

[5] – حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني،ج1،ص 117.

ومجموع من خرج منهم لا يتجاوز الثلاثين ألفاً"[1] الكاتب من خلال هذه العبارة يدعون للنهوض والعودة إلى الهوية الإسلامية التي تلاشت وضاعت(الدين واللغة والعادات والتقاليد).

7) وكذلك توظيفه خاصية الانسجام بين الفكرة والأسلوب وهذا ما لمسناه في المقالة بين لجج الهواجس فيقول:"علمت حينئذٍ إنني كنت في وهدة اليأس، من بحار الهواجس وأن الوطن مهما بلغت درجته من التعاسة والشقاء، فلا يحق له أن ييأس، بل يجب عليه أن يبذل الجهد النهائي وأن يعلق أفكاره بالأمل حتى يأتيه الإنقاذ"[2] نرى الكاتب من خلال هذه الفكرة أنه يبين لنا مهما بلغت درجة يأس الإنسان وعجزه فعلى الوطن أن لا يصمد وأن لا يستسلم للصعوبات والحروب .

ثم يعود ويستخدم هذه الخاصية في مقاله كيف ننقذ وطننا يقول:"هذه الصورة الثورية التي سأقص عليك في أصدق حديث عن قصتها، كانت بداية الانطلاق العنيف بثورة عارمة متواصلة مستمرة ثبتت أمام السجون والمنافي وازدرت العراقيل وحطمت السدود، وتغلبت على الصعوبات مهما كانت ومحت من قاموسها –مستحيل– فكل أمر عظيم كان عندها هيناً ميسوراً يمكن إحرازه ببذل الدماء والأرواح"[3] الكاتب هنا يحاول توضيح قوة وصمود الثورة وتحقيقها لأهداف الشعب ومطالبه.

أما بالنسبة لخاصية الإنجاز والبعد عن الأصالة والحشو والاستطرادات التي يمل منها القارئ فإن الكاتب قد استطاع تجنبها والابتعاد عنها وهذا ما لحظناه عند وقوفنا على هاذين المقالين بين لجج الهواجس وكيف ننقذ وطننا، وكذلك بالنسبة لخاصية التنسيق والترتيب والإتقان الذي تتطلبه المقالة فإن الكاتب لم يوظفها وهذا ما لمسناه خلال كتابته لهذين المقالين.

[1] – المرجع نفسه،ص 118.

[2] – المرجع نفسه، ص133.

[3] – المرجع نفسه،ص 128.

الخاتمة

يحتل المقال مكانة كبيرة وهامة في فنون الأدب، كونه يدرس أي موضوع من الموضوعات فهو نوع من الأنواع الأدبية النثرية يعبر عن وجهة نظر ما ويهدف إلى التأثير على السامع وإقناع القارئ بهدف فني ممتاز، إذ استطاع أن يحظى بإعجاب الجماهير العالمية بصفة عامة وكذلك الجماهير العربية بصفة خاصة ،كيف لا وهو من أحد الأنواع الصحفية التي لها صلة بالوسائل الإعلامية.

من هنا وبعد هذه الوقفة على جميع عناصر البحث وبعد الوقوف بالدراسة عند خصائص المقال لأحمد توفيق المدني، كان لنا أن نخرج بالنقاط والنتائج الآتية التي تناولها بحثنا هذا وهي:

1- يعرف المقال كإنشاء متوسط الطول، يكتب نثراً ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة مبسطة وموجزة مستخدماً أسلوب العرض والتحليل والاستنتاج

2- المقال لم يكن فناً جاهزاً منذ نشأته المبكرة إلى أن تبلور في عصر النهضة على الشكل الذي نعرفه عليه اليوم، ومنذ ذلك الوقت أصبح يتناول قضايا كثيرة ومتنوعة منها الأدبي والاجتماعي والثقافي والفكري.

3- إنه فن صحفي إعلامي قابل للتطور والتطوير شكلاً ومضموناً وقد ارتبط تاريخه بأدبنا الحديث ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الصحافة التي أصبحت ضرورة في تنمية المهارات المهنية والفكرية والارتباط بالواقع المعيش للوصول إلى مقالات جيدة معتبرة، وظهوره في أحزاب سياسية والانضمام إليه وهذا هو الذي ساعد على تطوره.

4- المقالة مرت بعدة مراحل أهمها مرحلة البداية وهي الإرهاصات الأولى لظهور المقالة على الساحة الكتابية، ومرحلة التطور التي أصبحت فيها المقالة محررة من قيود الصنعة، والكاتب يدافع عن نفسه من أجل الوصول إلى السعادة ، ومرحلة المقالة الحديثة هي الفترة التي شهدت كتابات عديدة من طرف الكتاب وتعدد المواضيع، ومرحلة المقالة الصحفية التي هي أكثر اتصالاً بأحداث المجتمع ووجود رأي عام وآراء نقدية داخل المجتمعات.

5- نجد أنواع المقالة عديدة وكثيرة، ولا يوجد تضارب في ذلك لأنها ترتبط بطبيعة المقالة ومضمونها وكذلك حسب التوجيه أو المعالجة مثل المقال الإعلامي والاجتماعي والمقال السياسي وغيرها من المقالات.

6- شهدت مقالات أحمد توفيق المدني نجاحات مؤثرة من الشرق وصولاً إلى الغرب نتيجة تعلمه على شيوخه والتأثر بشخصيات أدبية وفكرية لها باع طويل في الحياة الثقافية التونسية والتأثرات البارزة التي تركتها في مسيرته اللاحقة.

7- يتحلى التحرير عند أحمد توفيق المدني بحلةٍ امتازت بالتركيز والدقة العلمية كفن أدبي ، والميل إلى بث الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم بأسلوب سهل وواضح بعيد عن التكلف والزخرفة.

8- تميزت مقالات أحمد توفيق المدني بمسار الصحافة التونسية وكذا تأثره بالحياة السياسية في العمل الصحفي وحركة التأليف في ميدان العمل والفكر، ومقالاته عديدة كلها تحمل حماس يسودها التعبير الصافي المؤثر في السامع والقارئ وهو الذي ارتقى به نحو الأدبية.

9- كان أحمد توفيق المدني قوي الإرادة والرغبة حيث استغل سنوات سجنه في مطالعة الكتب العلمية التي كانت تصله من أصدقائه، فهو لم يستسلم لرغبة المستعمر في تحطيمه، فقد عمل في النشاط الفكري و الثقافي وانضمامه إلى حركة الكفاح السياسي والإصلاحي.

10- أحمد توفيق المدني رائد من رواد الحركة الإصلاحية وكسياسي نشط، ومؤرخ كان له فضل السبق في تأسيس مدرسة تاريخية وطنية، وفكره السياسي محاولة الكشف عن التنوع والاختلاف الذي تزخر به الحركة الإصلاحية.

وفي ختام هذه الدراسة يجدر بنا الإشارة إلى آفاق فن المقالة لتكون رسالة موجهة إلى كل واحد مهتم بالدراسة والبحث في هذا الموضوع ونجملها في النقاط التالية.

- لا بد أن يكون المقال مسايراً للأحداث والتطورات التي هي أقرب لحياة المجتمع ومناسبته له.
- ضرورة الالتزام بالمهارات المهنية والفكرية والعلمية لكتابة المقال.
- تحديد العنوان بعبارة موجزة دالة على المعنى مرتبطة بالموضوع تجذب القارئ.

ملاحق

لأحمد توفيق المدني: أربعة مقالات.

المقال الأول: الإدمان أول وزير للموت، تقدم الكلام عنده.

المقال الثاني: دعوة إلى الواجب، والمرآة التونسية والتعليم 4ديسمبر 1914م.

المقال الثالث: بين لجج الهواجس (18- 12- 1914م).

المقال الرابع: كيف ننقذ وطننا (27- 12- 1914م)

المقال الأول: كيف ننقد وطننا (27-12- 1914م)

قلت فيه: أبحث عن الأسباب التي تصورت الوطن إلى مهاوي الهلاك وتركته ينقلب على بساط خبيث الرذائل، وأبحث كذلك عن الوسائل التي يلزمنا اتخاذها، لإنقاذه من ربقة الجهل وأسرار الفساد.

إننا إذا أمعنا النظر في حياتنا الحاضرة، نجد أننا من أكثر أمم الأرض تعاسة وشقاء، وما ذلك إلا لأننا جلبنا بتقاعسنا، وتخاذلنا مصائب عظيمة على وطننا المسكين، جلبنا الشقاء لبلدنا التعسة بأشياء عديدة.

أولها: إننا تركنا شعائرنا الدينية المطهرة، و نوامسها المحمدية الغراء ....

وثانيها: إننا خلفنا عاداتنا القومية،تقليدًا أعمى للتمدن الأوروبي الحديث فأنت تجد الأغلبية من شبيبتنا المنثورة، مرتدين الثياب الأوروبية، حاملين العصي المزركشة المنقوشة بالرسوم الجميلة، وإن منهم لكثيرون يمرحون في الشوارع، وهم يتأبطون أذرعه فتابت أجنبيات.

نعم يا للأسف؟ هذا فقط ما استطعنا أن نقتبسه من التمدن الأوربي فتعسا للخلل البهيمة التي أفسدت أخلاق خخأمتنا التي تشبهت بغراب أراد تقليد مشية اليمام، فلم يقدر عليها، بيدا أنه نسي مشيته الأولى، فأصبح من المذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء...

فإذا قدر علينا وأخذنا بالتمدن الطارئ، فلماذا اقتصرنا على النسائي منه فقط؟ وأي تمدن هذا الذي يقضي علينا بصرف حصة دمنية أمام المرآة لتعطير الشعر ومشطه، وتزينه، وبإتقان هندامنا وترتيب ثيابنا الحريرية، وبالاختصار، كلما يختص بالجنس اللطيف(ومن الغريب كيف لم يمقت هذا الجنس اللطيف، ذلك الجنس النشيط المستلطف) وقد أصبح مزاماناً له في كل شيء.

ثالثها: إننا ضيعنا لغة آبائنا وأجدادنا، لغة ديننا الإسلامي، لغة قرآننا الشريف الطاهر، تلك اللغة العربية الفصحى التي إذا افتخرا عالم أروبي في عصرنا هذا فإنه يقول: إنه يحسن العربية قبل كل شيء، لغة أولئك الكرام الذين دوّخوا الدنيا بفتوحاتهم،ومجموع من خرج منهم لا يتجاوز الثلاثين ألفاً.

فيا للخجل؟ أليس من واجبات العار والشنار أن يفتخر الأجنبي بأنه يتقن لغتنا، وليس فينا من يحسنها؟ لعمر الحق أن هذا لهو منتهى الانحطاط والشقاء؟

أنسينا تلك الجملة التي طالما تليت علينا،وهي: إن تونس خصوصاً والأقطار الإسلامية عموماً، مازالت ترجو تقدمنا ونجاحنا مادام أبناءها محافظين على الدين وعلى اللغة؟ فأين الدين؟ وأينا اللغة؟

لقد ذهبا جميعا وبذهابهما سقطت تونس- والمسلمون كافة- سقطت أدبية هائلة، وأخذت تصرخ وتستغيث:

أيمكن إنقاذها، من هذه الهوة التي سقطت فيها؟

الجواب، والله أعلم: إن ذلك في غاية الإمكان، وإنما يلزم لتحقيق لهذه الأمنية كد كبير، وسمعي متواصل، وجد اجتهاد، قد يجب لتحقيق هذا الإنقاذ عدة أشياء:

أولها: تعليم البنت، لأن البنت مدرسة أولى لابن المستقبل، أعني إن حياة المستقبل بيديها، فإذا كان تعليمها وتهذيبها، إسلاميين وطنيين، كان ابنها حسب تعليمها، إلا فلا .

يجب أن تكون المرآة عارفة علوم الدين والعربية....

ثانيها: تعليم اللغة العربية ونشرها في جميع أنحاء القطر، وذلك بإنشاء مدارس خصوصية لهذا الشأن، وعلى الأقل، كثرة مزاولتها بالمدرسة الأهلية، (إن رضيت بذلك إدارة العلوم والمعارف؟).

فإن حياة اللغة العربية، هي حياة الإسلام عموما،فضلا عن بلادنا. فإذا زاحت اللغة، كثر الكتاب. وأنتشر المفكرون، وبهؤلاء تنقذ البلاد.

ثالثها: إحياء العلوم ونشرها بين كافة طبقة الشعب، فبالله ما ضر دولتنا لو أنها جعلت التعليم الإسلامي إجبارياً عندنا؟

إنني والله لا ينفطر قلبي حزناً، عندما أرى الشاب في السادسة عشرة من عمره، يلعب الكرة في الشوارع. جاهلاً القراءة والكتابة في حين أن فريد وجدي، بمثل هذا السن قد ألف كتابه" تطبيق الديانة الإسلامية، على النواميس المدنية".

رابعها: ترك الكسل، والإقبال على تعلم الصناعات مهما كانت، فالصناعة قد أصبحت قوام حياة العالم.

أليس من العار على أمة كالأمة التونسية إلا يكون فيها صناع من جنسها؟ ...بالله ما ضرنا لو كان فينا مهندسون منا؟

ما ضرنا لو كان فينا كيمائيون من جنسنا ؟....

إن الأمر الذي يعوذنا فو وجود رجال العزم فينا، واعتمادنا على أنفسنا ونزع اعتقادنا بأننا أكفاء لشيء.

يتربى الصبي عندنا تربية ناقصة في كلّ شيء، ثم يدخل المدرسة، فلا يسمع من أستاذه إلا أن التونسيين أو المسلمين نوع ساقط، من جنس ساقط وإنا الأمة التونسية متقهقرة، وإن جميع النّاس يزدرون بها، إلى غير ذلك، فيشب التلميذ وهو مصاب بالفشل والشلل، مما تلاقاه في صغره وهكذا يشيب واليأس مسيطر على قلبه...

هذا حال شبابنا الذين عليهم المعتمد، وهي أحد أسباب القضية والانحطاط.

والخلاصة، إنه لا يمكن للوطن أن يخطو خطوة واسعة في سبيل الفلاح، إلا إذا ما قام أبناءه بالواجبات المتقدمة الذكر، ولا يمكن لنا أن ننقذ هذا الوطن إلا إذا قمنا بواجبنا خير قيام.

2- الصورة الثورية:

هنا أفتح باب التاريخ على مصراعيه.

فهذه الصورة الثورية التي سأقص عليك في أصدف حديث قصتها، كانت بداية الانطلاق العنيف في ثورة عارمة متواصلة، مستمرة، ثبتت أمام السجون، والمنافي وازدرت العراقيل، وحطمت السدود، وتغلبت على الصعوبات مهما كانت، ومحت من قاموسها كلمة- مستحيل- فكل أمر عظيم كان عندها هيناً ميسوراً، يمكن إحرازه ببذل الدماء و الأرواح، وهكذا سرت في هذا الطريق الوعر المحفوف بكل المخاطر، غير هياب ولا وحل، إلى أن أصبح الخيال حقيقة، والمستحيل موجوداً، فرأيت بلادي حرة، ورأيت بلاد أقطار العروبة والإسلام مستقلة، ورأيت ريات النصر مرفوعة خفاقة عزيزة الجانب، في كلّ المحالات، مفتوحة في مغربي العربي وفي شتي بلاد العروبة والإسلام، أمام عزيمة الشعوب وأمام أزرعه أفكار الجماهير المجاهدة. فطوبى للمجاهدين الأبرار، وحسن مآب؟

اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى، فكانت العاطفة الطاغية التي ملكت شعوري، وإحساسي، وهي عاطفة الانتقام. أي والله أقولها جاهراً، وأكررها دون خجل مصطنع، أو حياء مرائي: هذه أروبا الطاغية القاسية الجبارة، التي خانت العهود، وازدرت القيم، وسنت سنة: القوة فوق الحق، وسارت خلف سياسة ما كيافيلي: الغاية تبرر الوسيلة، هذه أروبا التي حطمت بلاد الإسلام، وأذلت العرب والمسلمين واستعمرت بلادهم، وقتلت أهلهم، وأحرقت ديارهم، وصبت البلاء وإبلا على كلّ أصقاعهم، هذه أروبا تريد اليوم سهمها إلى صدرها، وترجع سيفها إلى نحرها، فبمدافعها تحطم ديارها، وبسلاحها تمحق نفس أبناءها، وبجهودها الخاصة وبمواردها الضخمة، وبإمكانياتها التي لا حدّ لها، تمحق في حملة جنونية مسعورة ما بناها أجدادها فوق أرضهم منذ قرون، وتتلف ما كونته مدينة الأجيال المتلاحقة من بدائع الفن وآيات العمران الذريع، إن وعد الله حق: ((وما كان ربك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون))117.

وفرنسا على الأخص، فرنسا التي سجلت أسوأ وأقذر وأحط التاريخ الاستعماري في أرض الجزائر الحبيبة. فرنسا إلى قتلت أهل، وشردت قومي، وأحرقت بلادي. فرنسا التي أذلت المغرب العربي العزيز، فكبّلت بعد الجزائر تونس بأغلال حماية غادرة فاجرة، وقضت على استقلال المغرب الأقصى الذي بقي حراً مستقلاً ظاهراً لم تدنسه ولم تستقربه قدم أجنبي طيلة اثنا عشرة قرناً، وأخضعت سلطانه تحت تهديد مسدس مصوّب إلى صدره، وأذلت شعبة ذا العزة والكرامة والإباء.

فرنسا هذه ، وهي تجابه جحافل ألمانيا الفظيعة، وتقابل أسلحتها الجهنمية الفتاكة، أما دقت ساعة الانتقام منها أما جاءت ساعة الحساب الرهينة؟

هذه الصورة تكاد تكون شمسية لمختلف الأحاسيس التي كانت تنتابني، والعواطف المختلفة التي كانت تطغى على فكري، وتستولي على كل شعوري. فأتصور وأنا أذكر ذلك العهد البعيد،إنني ما كنت إنساناً يومئذٍ، إنما كنت جلاداً قاسياً، فظيعاً،يريد أن يصب في السيف الذي يغرسه في صدر الضحية، كل ما في نفسه من حق وكراهية وضغينة.

المقال الثاني: بين لجج الهواجس: 18- 12- 1914م

أخذت ذات يوم أفكر في حالة البلاد، وما وصلت إليه من التعاسة والشقاء، فتهت في بيداء أفكاري وهواجسي، إلى شاطئ بحر زاخر، يتراءى للناظر أن لا أخر له.

أردت السباحة فيه، لأطفئ قليلاً من النّار المتأجج بين ضلوعي، فنزعت عني ثياب الخمول، واجتزت الشاطئ إلى الماء، وأخذت في السباحة.

لكنني لقلة معرفتي للسباحة، وتوغلي كثيراً في البحر، أردت الرجوع إلى الشاطئ، فلم أفلح، وكان تيار الماء لا يزال يجذبني إلى عرض البحر، وحال الموج بيني وبين النجاة، وكدت أن أكون من المغرقين.

في هذه الحالة يئست من حياتي، وعزمت على أن أترك المقادير تجري في أعنتها، وعلمت أنني من الهالكين. وبينما أنا في هذا اليأس الشديد، والكرب الذي لا عليه من مزيد، تراءت في الأفق إحدى الجواري المنشات في البحر كالأعلام، ألا وهي سفينة كبرى، مكتوب على واجهتها بالأنوار الكهربائية اسمها " الأمل ؟؟؟".

إنّ ظهور هذه السفينة بث في نفسي روح النشاط، فبذلت جهداً شديداً لمقاومة تيار، وأخذت أصرخ بملء فمي: النجدة؟ النجدة ؟.

وإذا يقارب صغير الحجم، أخضر اللون، انفصل عن السفينة، مكتوب على جانبه الأيمن" الإنقاذ" وعلى ظهره شاب أرسلت به السفينة لإنقاذي.

انتشلني هذا البحار الشهم من وهده اليم، إلى قاربه الجميل، وصار بي قاصداً السفينة، فلمّا وصلنا صعدنا، ووجدنا الرّبان يترقبنا، وكانت سمات النبل والشرف والانشراح، تلوح على وجهه، وهو شيخ جليل المنظر مهاب الطلعة.

لم أتمنك من سؤاله عن اسمه، أو يسألني هو، فقد أغميّ عليّا وأخذوا يسكبون الماء على وجهي، وعندما أفقت وجدت نفسي على مكتبي واضعاً رأسي بين راحتي، وأنا أفكر في حالة البلاد.

علمت حينئذ إنني كنت في وهدة اليأس، من بحار الهواجس وأن الوطن مهما بلغت درجاته من التعاسة والشّقاء، فلا يحق له أن ييأس، بل يحب عليه أن يبذل الجهد النهائي وأن يعلّق أفكاره ب" الأمل" حتى يأتيه" الإنقاذ"

تونس- أحمد توفيق المدني.

لقد أحدث هذا المقال الأثر المطلوب منه، ويا ليتك عشت معي أيام ديسمبر1914م، لترى كيف يستطيع مقال بسيط أن يوقد في الأوساط التونسية شعلة رجاء وأمل، وأن يعيد إلى النفوس ما فقدته من ثقة ومن تطلع صالح إلى الأمام خاصة في الأوساط الزيتونية، وفي أوساط الطبقة الوسطي التي كانت يومئذ غفيرة واعية. ذلك هو الشعب التونسي،تعلو ناره من رماد عابرة، فيتخيل إليك أن النار قد خمدت ولم يبقى لها من أثر، إنما هي بنفخة واحدة من ريح طيبة، تنفض رمادها وتعود إلى اتقادها، ألا والله، إنّ الشعب التونسي لا من أمجد وأطيب الشعوب.

أبرق الباعة إلى السيد عمر بن قدور الجزائري يطلبون إليه إرسال ما عنده من أعداد" الفاروق" لذلك الأسبوع، وبعث إليهم بكلّ ما لديه، لكنّ ذلك لم يكن كافياً، فكان العدد الواحد ينتقل من يد إلى أيد عديدة، ورأيت القوم ينظرون يومئذ إلى ذلك الشاب المتواضع، الطالب الزيتوني الذي هو " أنا" نظرة حب واحترام وتقدير. بل أكاد أقول: نظرة طاعة وانقياد، كنت أراها، ولا أزال أراها، ولا يكاد يصدقها إلا من رآها.

الاستعداد للعمل الثوري:

وعقدنا جلستنا الليلة، وتفاءلنا خيراً بأثر المقال، ونقل كلّ منا لأصحابه خلاصة ما رأى وما سمع. فكان التفاؤل يسودنا جميعا، وعزمنا على حث الخطى نحو الغاية المنشودة، فالشعب حاضر وإن كان أعزل، والشعب مستجيب لمن يدعوه لميادين الحرية والخلاص.

النقطة الثالثة: وهي أصعب النقاط وأخطرها وأقربها إلى الهلاك و الاتصال مع قبائل الجنوب من أجل الانتفاض.

كنت قد اتصلت في رحاب الزيتونة برجل من خيرة الرجال، وأكثرهم شهامة، وأشدهم في سبيل الوطن والوطنية الصادقة اندفاعا، هو السيد علي فارس من قبائل بني زيد الأبية. وله مكانة في قومه، ووجاهة في عشيرته وكلمة محترمة في قبيلته. إنما كيف يكون الاتصال به وهو مستقر يومئذ بالجنوب؟ وقد رأينا أثناء اجتماعنا أن الاتصال لا يكون إلا مباشراً. وقررنا أن يكون الاتصال على يد وبمسعى خاص مني، فإذا ما نجح الأمر فغنمه للوطن، وإذا ما أخفق، فغرمه عليّ وحدي، كائناً ما كان ذلك المغرم.

توكلت على الله، فتأبطت الإيمان، وتضرعت بالعزيمة، وأخذت أعمل الحيلة من أجل الانتقال السريع للجنوب، بصفة لا تجذب إليها الأنظار.

أخذت قبل كلّ شيء أقنع أمي بأنّ الدراسة في الجامع الأعظم عقيمة، وأن نتيجتها غير مقنعة، وأن الحرب تزداد وستزداد مع مرور الأيام اتساعا وشدة ، وأن الحالة الاقتصادية ستسوء إلى درجة ربّما حرمت العائلات الكثيرة بتونس قوتها اليومي، وأن تجارة أبي مع الجزائر يمكن أن تتوقف بين يوم وليلة من جراء وقائع الحر وتطوراتها. فأمام هذه الحالة وجدت باباً للارتزاق، مفتوحاً على مصراعيه هو تجارة التمر مع الجنوب، ولي أصدقاء يعينونني عليها من حيث اختيار البضاعة، وزهد الأسعار والدفع نسيئة،وصادقت الوالدة بعد ذلك، وخاطبت الوالد فسكت،وكانت النتيجة عالية جداً بالنسبة لي؛ لأنني كنت أخاف كلمة "لا" ثم أخذت خلال الأسبوع، أبث في أوساط الزيتونة، لدى الشيوخ ولدى الطلبة، أنني قد اعتزمت ترك الدراسة وولوج باب تجارة التمر، ووعدتهم أنهم سيجدون لديّ، متى فتحت مخزن تصدير التمور وتوريدها، زيادة عن هدية الافتتاح، أحسن البضاعة، وأزهد الأسعار. فبعضهم حوقل وتأسف وبعضهم ابتهج واستحسن، وشحذ الجميع أسنانهم استعداداً لتذوق أحسن أنواع التمور بين دقلة ورطب جني.

ثم أقدمت على الخطوة النهائية: راسلت السيد عل فارس بالحامة وأشعرته بعزيمتي على ترك الدراسة نهائياً، والإقبال على تجارة التمور مؤقتة، ورجوته أن يجمع لي اثنين أو ثلاثة من أصحابه ممن ينتجون التمور ويصدرونها، وممن يتصفون بالثقة والنزاهة وحسن الخلق، لكي أقدم إلى قابس من أجل المفاهمة معهم.

جاءتني رسالته فوراً،و فيها تأسف كبير وامتعاض من ترك للدراسة وهو يعتقد- من حسن ظنه- أنني سأكون في مستقبل الأيام كبيراً من كبراء الأمة، علماً وعملاً. لكنه لا يضع العراقيل في وجه، وسيجمع لي بعض التجار في بيت أحدهم بقابس، ليلة الجمعة من أجل التفاوض والمفاهمة وأنه سيكون في إنتظاري عند المحطة، في الساعة المعينة.

وصلت قابس تعباً، وكانت تلك أولى رحلاتي التي أصبحت فيما بعد تقاس بمسير الأرض حول الشمس،واجتمعنا في دار السيد رحيم بن عمارة، ومعه رجلان من التجار، وبعد العشاء الذي وضعوا به- رحمهم الله- أكبر مقدار من الفلفل اللادغ،فكان الجوع يدفعني نحو الأكل،وكانت حرارة الفلفل تسيل دموعي وتمزق أمعائي، و انتهينا من أكل شرائح الخروف على كلّ حال وأنا على قيد الحياة،وأخذنا في مفاوضة عميقة عن تجارة التمور. وكنت قد أخذت معي كراساً أسجل عليه كل ما قيل عن التمور، وأنواعها،وصلاحيتها، وأسعارها وطريقة نقلها، ومدى انتظارها للتصدير،وأجرة القطار عن نقل كلّ قنطار، إلى غير ذلك من المعلومات التي كنت أسمعها لأول مرّة، والتي كنت مستعداً لنسيانها في أول فرصة.

ثم خلوت بالأخ علي فارس، ودون مقدمات وبكلّ صراحة،أطلعته على جلية مأموريتي، وأعلمته أن قضية تجارة التمر ما كانت إلا ستاراً لإخفاء المهمة الحقيقية عن أنظار العدو وعن أنظار المتطفلين، فابتسم، ثم ضحك، ثم أغرق ضحكاً وقال: وهل تعتقد لحظة أنني آمنت بأنك ستترك ميدانك المفضل،وراء الأكمة كما يقولون ما وراءها، لكنني ما كنت أعتقد أنها ستكون بمثل هذه الأهمية وبمثل هذه الخطورة، هات ما سعندك.

فأخذت أحدثه عن منهاج عملنا، وعن الخطة التي رسمناها، وعن الدور الخطير الذي سيضطلع به شخصياً من أجل التنفيذ.

سكت قليلاً ثم قال: إنّ المنهاج الذي رسمتموه، فيما يتعلق بعمليات الانتفاض على الأقل،ناقص جداً، ومن عدة جوانب،فأنتم قررتم وحدكم أننا نقوم بعملية انتفاض ناجحة في الجنوب،فهل فكرتم كيف تأتي بالسلاح الكافي من أجل الانتفاض، وكيف تكون لدينا الجبخانة (الذخيرة الحربية) التي تمكننا من مقاتلة الفرنسيين، ثم إنكم قررتم وحدكم أن رجال قفصة والجريد ينضمون إلينا بمجرد خروج الجيش الفرنسي من ديارهم مدداً لمقاتلتنا، فهل اتصلتم برجال قفصة؟ وهل وعدوكم بذلك؟

وأخيراً قررتم وحدكم أن الأسرى الألمان إذا ما أطلق سراحهم ينضمون إلينا، ويكونون ضباطاً للجيش التونسي المنتظر، فمن أين لكم أن تحكموا هذا الحكم ، وما هي الأسباب التي تجعلكم تعتقدون أن الألمان الأسرى يقبلون رفع السلاح من جديد والمقاتلة، بعد أن انتهت الحرب بالنسبة لهم وهم ينتظرون الرجوع الى أهليهم سالمين عند نهاية الحرب؟

قلت: إننا إذا ما قررنا وحدنا هذه الأمور، فإنني أتيت باسم أصحابي لأن أعرضها عليك، كي تعرضها أنت على رفقائك من شيوخ بني زيد وشيوخ الجنوب، ولكي تأخذوا مسؤوليتكم فيها إما سلباً وإما إيجاباً، فليس هذا إصدار أمر، وإنما هي قضية للمناقشة.

وأما السلاح فأنتم على حدود طرابلس، ونحن نعلم منذ أيام الحروب الطرابلسية أن اتصالكم بالطرابلسيين وثيق جداً، بل له جذور عميقة في التاريخ، وإنكم تستطيعون بكل يسر جلب البنادق الكافية وذخيرتها من وراء الحدود.

وأمام انتفاض أهل قفصة والجريد، تبعاً لكم، فسيكون موضع بحثنا وعملنا إذا ما حصلنا منكم على وعد الانتفاض قريباً، مادامت فرنسا،وستستمر، تعاني هذه الأزمة الحربية الخانقة التي توشك أن ترديها.

وأما انضمام للأسرة الألمان لنا، فأنت أدرى الناس بالعقلية الألمانية وبما لدى الألمانيين من طاعة عمياء وانقياد لا مثيل له. وعندكم من وراء الحدود جيش تركي صغير، والجيش التركي حليف مخلص للجيش الألماني، فإذا ما تلقى الأسرى الألمان أمراً من قادتهم فإنهم ينضمون إلينا دون تفكير. هذه هي أراناس في الموقف بعد دراستنا الطويلة، وأنا أنتظر رأيك.

قال: أما الانتفاض، فأهل الجنوب عازمون عليه، ولهم مراسلات في شأنه مع القائد التركي نوري باشا، المستقر فيما أعلم بنالوت.وإنهم سيقومون بأول عملياتهم متى حصلوا على البنادق والجبخانة التي طلبوها، وقد وعدوا بها(ولم يبين لي عددها)، هذا أمر مفروغ منه وهو على ما علمت، حجر الزاوية في المنهاج الذي وضعتموه.

أماّ من حيث انضمام أهل قفصة والجريد لنا، فأنا في شك من ذلك . بل أنا والشيوخ نعتقد خلاف ذلك. إنّ رجال قفصة والجريد رجال علم وصلاح، ودين، وفضل، لكنهم ليسوا، ولم يكونوا في مختلف العصور، رجال ثورة وانتفاض،إن أكثرهم يدين- طوعاً أو كرهاً- لعائلة اللونقو، وهي عائلة مخزنة راسخة القدم في إطاعة أوامر الدولة. ثم إنّ لشيوخ الطرق هنالك وأغلبهم من الطريقة القادرية، نفوذاً وسلطاناً على النفوس ، كما أنّ لشيوخ التجانية نفس النفوذ والسلطان على الأقلية. فإذا أردتم أن تعملو عملاً في قفصة والجريد فعليكم - وهو أمير أساسي- أن تشتمل بعض شيوخ القادرية، وبعض شيوخ تجانية معاً، دون أن يعلم أحدهم بوجود الأخر إلى جانبه. لهذا فقط تستطيعون أن تضمنوا انتفاضة الشعب، لأنه لا يرد طلباً لشيوخه الروحين، أما إن قام معهم القادرية وحدهم، فسيلقون مقاومة عنيفة من التتجانية، وإن قام معكم هؤلاء فسيجدون كل مقاومة من الآخرين، وعندئذٍ

لا ينجح العمل.

وأما من حيث مشاركة الأسرى الألمان، فسنعرض الأمر على نوري باشا ونطلب إليه أن يأتينا من القيادة الألمانية بأمر عسكري يطيعونه لا محال، كما تقول.

هذا ما بقي منقوشاً على صفحات الذاكرة، من أمر هذه الجلسة تاريخية الهامة بالنسبة لنا، وتودعنا بعد أن اتفقنا على أننا لم نتكلم إلا عن تجارة التمر خاصة، بكلّ ما يتعلق بها.

رجعت إلى العاصمة اليوم 7أو 8 جانفي 1915م، ولم أذهب إلى الخلدونية، ولا إلى جامع الزيتونة، وطفقت أتجول بسوق الفاكهة، أجادل تجارها حول التمر وأسعاره وأنواعه، وأعرض عليهم أنواع ما عندي من البضاعة و أسعارها. وغير ذلك فوجدت استجابة طيبة، واستعداداً لمساعدتي على عملي الجديد....إلا أن الكثير

منهم أشار عليّ بعدم الانقطاع عن الدراسة، حيث إنّ التجارة في التمور، ومدتها محدودة موسمية، لا تمنع الاستمرار على الدراسة وتحول دونها . وكنت أتعمد الكلام بصوت جهوري، وأتظاهر بشيء من ثقل السمع حتى يرفع محدثي صوته، كل ذلك لكي يعلم الجواسيس، ويعلموا سادتهم، أنني أقدمت بكليتي على تجارة التمر، ولم أعد أهتم بخلدونية ولا بزيتونية.

ثم اتصلت بالصادق الرزقي واتصل هو ببقية الجماعة، وجاءوا ليلاً إلى منزلي بنهج الناعورة، فأحطتهم علماً بنتيجة مهمتي، وقصصت عليهم تفصيلاً حديث الأخ السيد علي فارس، فابتهجوا إلى أقصى حدود الابتهاج بما أستقرّ عليه القرار في أمر الجنوب، وحصرنا بحثنا في نقطة " قفصة" – التي بقيت فراغاً بالنسبة لنا. وصممنا على أن نقتسم فيما بيننا خير طلبة الجريد بالجامع المعمور، وهم كثرى كاثرة. فيستأثر كل منّا بجماعة بصاحبها، ويختار من بينها الأصلح، ثم عليه أن يعرّف منهم أسماء شيوخ الطرق وميولهم، على أن لا يسافر اثنان منا، هما : محمد النيفر وأحمد نجاح، إلى قفصة، فينضم الأول إلى التجانية، ويجاور في زاويتها، وينضم الثاني إلى القادرية، ويجاور في زاويتها ويبدآن العمل الإيجابي حالاً، رغما عما كان يعترض الاثنين من صعوبات عائلية لا يحصيها العدد. فكان قبولهما لهذه المهمة تضحية هائلة، لا يسعني بعد مضي الزمن، وتغير الأحوال، إلى أن أسجلها بمداد الشكر والفخر وأن أضع على ضريحيهما الطاهرين، بكل تجلة واحترام، أكاليل من زهور العزة والشرف والاعتراف بالجميل.

هذه الأمور لا يعرفها أحد، ولعلّ أغلب أو كل الذين شاركو فيها قد فارقو هذه الحياة الدنيا، بعد أن ضرب الدهر بينهم بضرباته، أو تفرقوا طرائق قدداً، وبقية مرسومة بأحرف من نور، ضمن إطار صرمدي، فوق صفحات الذاكرة. ولعلني أقوم بأخر ما عليا من الواجبات، إذ أقدمها للأبناء والأحفاد، اعترافا بفضل لجهاد الآباء والأجداد، فاسأل لهم يا شعب تونس النبيل رحمة من الله وغفران. لقد كانوا – والله – موقدي الشرارة الأولى، فإذا ما ذهبت صيحتهم يومئذ في واد، وضاعت نفختهم في رماد، فإنها قد ذهبت من بعد بالأوتاد، ورفعت العماد، وأرجعت الأمجاد، باستقلال البلاد وتحرير رقاب العباد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القران الكريم (برواية ورش)

أ المصادر والمراجع:

1- الأدب وفنونه، محمد مندور، دار النهضة مصر للنشر، ط8، 2012م.

2- أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة دراسة ونماذج، لعبد العزيز شرف، دار الجيل بيروت، 1420هـ-2000م.

3- أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والاجتماعية في تونس والجزائر، والدلالة المعاصرة، عبدالكريم بوصفصاف، 2006م.

4- أحمد توفيق المدني على ضوء الوثائق الأرشيفية، إعتقاله سنة 1915م، نموذج مقال غير منشور، تليلي العجيلي.

5- الأنيس في المقالة الأدبية، محفوظ كحوال، (د-ط)، 2005م.

6- أعلام من المغرب العربي، محمد الصديق الصالح، موقع للنشر الجزائر، 2000م.

7- الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب الحديث، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت – لبنان،ط1، 1961م.

8- الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، إحسان خفي، بيروت- لبنان، ط1، 1961م.

9- دراسات ادبية نقدية في الفنون النثرية، داود غطاشة الشوابكة ومصطفى محمد الفار، دار الفكر، ط2، 1431هـ- 2010م.

10- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، 2007م.

11- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، احمد دوغان، منشورات الاتحاد كتاب العرب، 1996م.

12- دراسات في فنون الأدب الحديث، عبد العاطي شلبي، ط1، 2005م.

13- هذه هي الجزائر، أثار أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

14- حياة كفاح، أثار أحمد توفيق المدني، دار البصائر الجزائر، ط1، (د-ت)

15- الكتابة فنونها وأفنانها، فهد خليل زايد، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

16- لسان العرب، لابن منظور، دار أحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1419هـ - 1999م.

17- لسان العرب المحيط، لابن منظور، دار الجيل بيروت، 1408هـ - 1988م.

18- محيط المحيط، بطرس البستاني، (د – ط).

19- من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد حسن فضلاء، دار هومة، 2000م.

20- معالم المقال الأدبي والصحفي، عبد الرحمان عبد المجيد علي، دار الكتاب الحديث، 1428هـ - 2008م.

21- معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و 20، عبد الكريم بوصفصاف، خبر الدراسات التاريخية والفلسفية.
22- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاطي وراميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين بيروت.
23- معجم مشاهير المغاربة، أبو عمر الشيخ وآخرون، المؤسسة الجزائرية للطباعة جامعة الجزائر، 1995م.
24- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا حنبعل قرطاجنة، أثار أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.
25- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس عشر مضامنه وأشكاله، علي بن محمد، دار العرب الإسلامي.
26- النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد الملك بومنجل، بيت الحكمة، ط1، 2009م.
27- في الأدب الجزائري الحديث، أحمد دوغان، منشورات الإتحاد كتاب العرب، 1996م.
28- فنون الأدب دراسة تطبيقية وللشعر في عصوره المختلفة والقصة القصيرة، عبد العاطي شلبي، ط1، 2005 م.
29- فنون الأدب المعاصر بين النزعة والواقعية والتجربة التأملية، صابر عبد الدايم، دار الكتاب الحديث، 1433هـ - 2012م.
30- فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائرية، 1983م.
31- فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، دار الكتاب الحديث، 1432هـ - 2011م.
32- فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ربيعي عبد الخالق، طبع ونشر 1663 م– 1870م- 2010م.
33- فصول من الفكر العربي القديم والحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1، 2006م.
34- تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، (د – ط)، 2007م.
35- تاريخ الجزائر الثقافي 1830م- 1954م، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.
36- التطور النثري الجزائري الحديث، عبد الله الركيبي، دار الكتاب العربي، (د – ط)، 1830م – 1974م.
37- شخصيات فكرية وأدبية، محمد الصديق الصالح، دار الأمة للطباعة والنشر الجزائر، ط1، 2002م.

ب) الرسائل الجامعية:

38- أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، عبد القادر خليفي، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، 1899 م– 1983م.

39- الكتابة الأدبية عند أبو القاسم سعد الله، عبد السلام ضيف، إشراف سعيد خضراوي، 1425هـ-1526هـ- 2004م-2005م.

ج) المجلات والمقالات:

40- أحمد توفيق المدني 1899م-1983م، لمحات من حياته وأعماله، النصف الأول من سنة 1985م، محمد بلقراد، مجلة التاريخ، العدد 18.

41- أحمد توفيق المدني 1899م-1987م، النصف الأول من سنة 1985م، فاطمة تازير وفضيلة تكور.، مجلة التاريخ، العدد18.

42- بوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني لتدوين وكتابة التاريخ الجزائري الحديث، النصف الأول من سنة 1985م، فكري طونا، مجلة التاريخ، العدد 18.

43- كلمة التأبين بمناسبة الأربعين، النصف الأول من سنة 1985م، محمد الطاهر عدواني، مجلة التاريخ، العدد 18.

44- صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني، النصف الأول من سنة 1985م، إكمال الدين أحسن أوغلي، مجلة التاريخ العدد 18.

45- رحم الله أحمد توفيق المدني تونس 1983م، جابر محمد الصالح، مجلة الحياة الثقافية، العدد22- 29.

د) المواقع الإلكترونية:

أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي، عمر بن قينة:

Wu.dam.org/book/00/study00/283-a-k/imd/book00-shd001htm.

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ب
مدخل	01
الفصل الأول: ماهية المقال وأهم خصائصه	**10**
المبحث الأول: نشأة المقال وتطوره	11
المطلب الأول: نشأة المقال	13
المطلب الثاني: تطوره	13
المبحث الثاني : أنواع المقال وأشكاله	20
المطلب الأول: أنواع المقال	20
المطلب الثاني: أشكال المقال	27
المبحث الثالث: خصائص المقال	30
الفصل الثاني: دراسة في خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني أنموذجاً	32
المبحث الأول: المولد والنشأة	33
المبحث الثاني: تعلمه وأهم شيوخه	**38**
المبحث الثالث: إسهاماته الأولى في الفكر والثقافة ومؤلفاته	41
المبحث الرابع: توظيف خصائص المقال عند أحمد توفيق المدني	44
خاتمة	48
ملحقات	50
قائمة المصادر والمراجع	58
فهرس الموضوعات	61